غلغامش

قصة و رسوم
إياد عيسلوي

الطبعة الأولى
2010 - 1431

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب 31426 - هاتف: 2248433 - فاكس: 2248432
E-mail:almaktabi@mail.sy

في العَام «1853م» في أَرْضِ الرَّافِدَيْنِ العَرِيْقَةِ كَانَ أَحَدُ العُمَّـالِ يَـحْفِرُ فِي مَوْقِعٍ أَثَرِيٍّ ، فَاكْتَشَفَ كِتَابَةً غَرِيْبَةً مِسْمَـارِيَّةً عَلَى أَلْوَاحٍ كَبِيرَةٍ !..

وَبَعْدَ أَنْ مَحَّصَهَا عُلَمَاءُ الآثَارِ اكْتَشَفُوا أَنَّهَا مِنَ الـمَكْتَـبَةِ الـخَاصَّةِ بِالـمَلِكِ الآشُوْرِيِّ «أَشُوْرْبَنِيْبَالَ» فِي نِيْنَوَى .

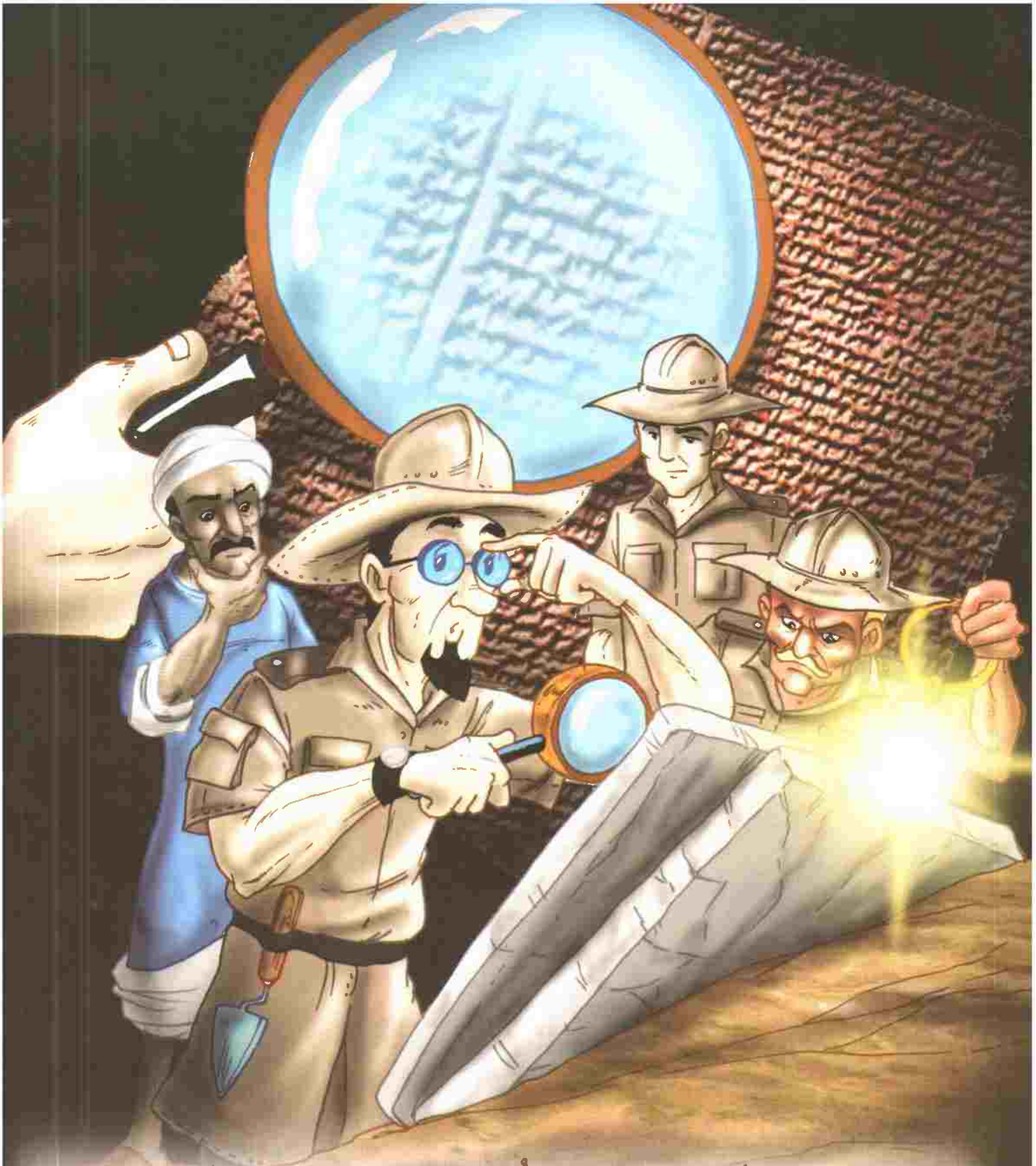

لَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الأَلْوَاحُ مَكْتُوبَةً بِاللُّغَةِ الآكَادِيَّةِ ، وَلَقَدْ حَمَلَتْ فِي تَوْقِيعِهَا فِي الخِتَامِ اسْمَ «شين ئيقي ئونيني» ، وَالَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ تَأْرِيخُ هَذِهِ الرُّقُمِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى أَحَدِ أَعْظَمِ الأَسَاطِيرِ ، وَهِيَ أُسْطُورَةُ مَلْحَمَةِ غِلْغَامِشَ !.

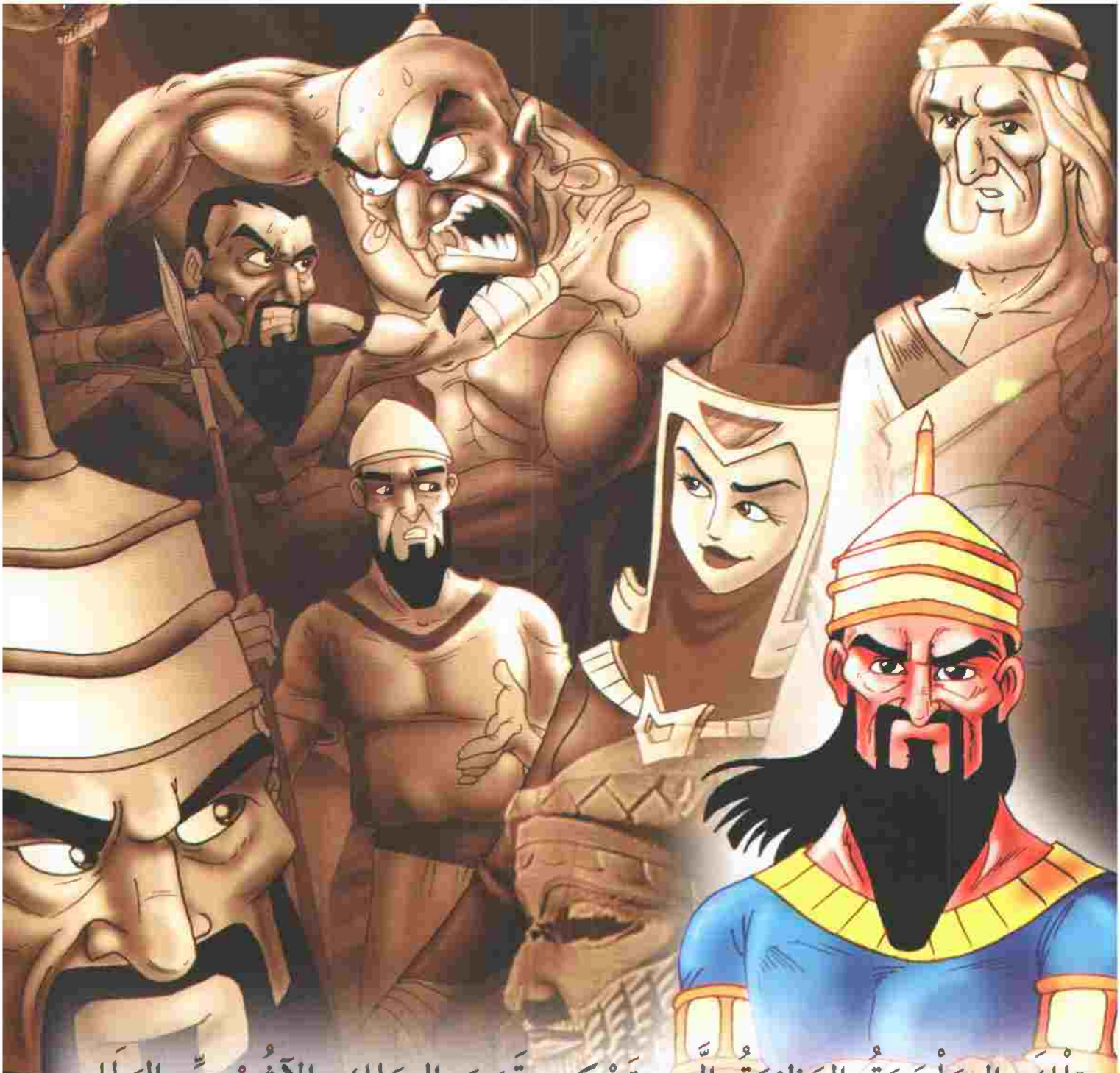

تِلْكَ الـمَلْحَمَةُ العَظِيْمَةُ الَّتِي تَحْكِي قِسَمَ الـمَلِكِ الآشُوْرِيِّ البَطَلِ غِلْغَامِشَ ، الَّذِي حَارَبَ الأَشْرَارَ عَلَى مَدَى أَيَّام حُكْمِهِ ، وَصَنَعَ مِنْ «أُوْرُوْكَ» أَحَدَ أَهَمِّ مُدُنِ العَالَمِ القَدِيْم ، وَتَرْوِي الـمَلْحَمَةُ قِصَّةَ صَدَاقَتِهِ العَظِيْمَةِ مَعَ «أَنْكِيْدُو» الـجَبَّارِ ! وَتَرْوِي بَحْثَ غِلْغَامِشَ عَنِ الـخُلُوْدِ ! ثُمَّ تَسْلِيْمَهُ أَنْ لا خُلُودَ لِبَشَرٍ ، إِنَّـمَا الـخُلُودُ لِـمَنْ خَلَقَ البَشَرَ ، فَتَعَالَوْا مَعَنَا نَتَعَرَّفْ عَلَى هَذِهِ الـمَلْحَمَةِ الأُسْطُوْرِيَّةِ !..

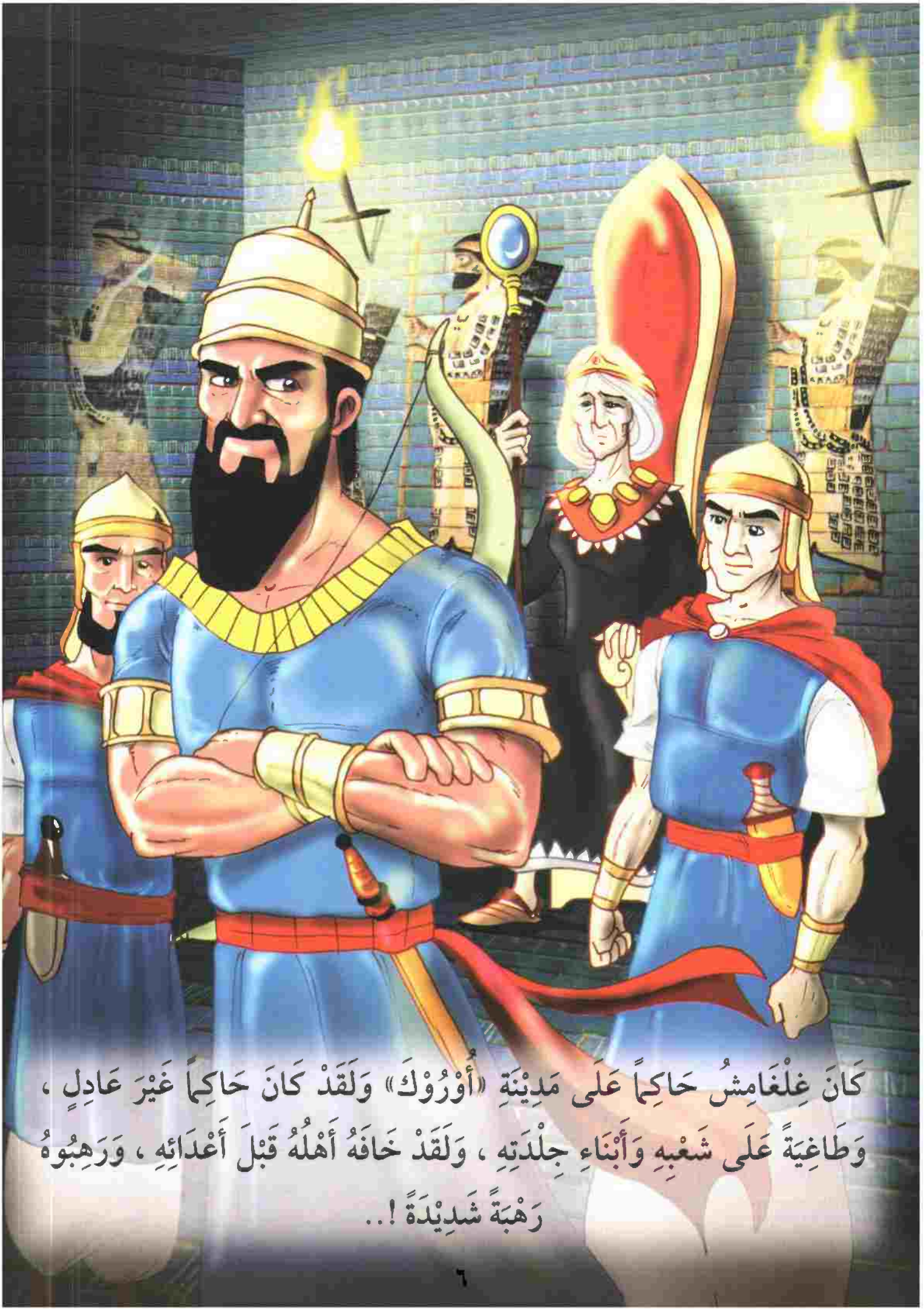

كَانَ غِلْغَامِشُ حَاكِماً عَلَى مَدِيْنَةِ «أُوْرُوْكَ» وَلَقَدْ كَانَ حَاكِماً غَيْرَ عَادِلٍ ، وَطَاغِيَةً عَلَى شَعْبِهِ وَأَبْنَاءِ جِلْدَتِهِ ، وَلَقَدْ خَافَهُ أَهْلُهُ قَبْلَ أَعْدَائِهِ ، وَرَهِبُوهُ رَهْبَةً شَدِيْدَةً !..

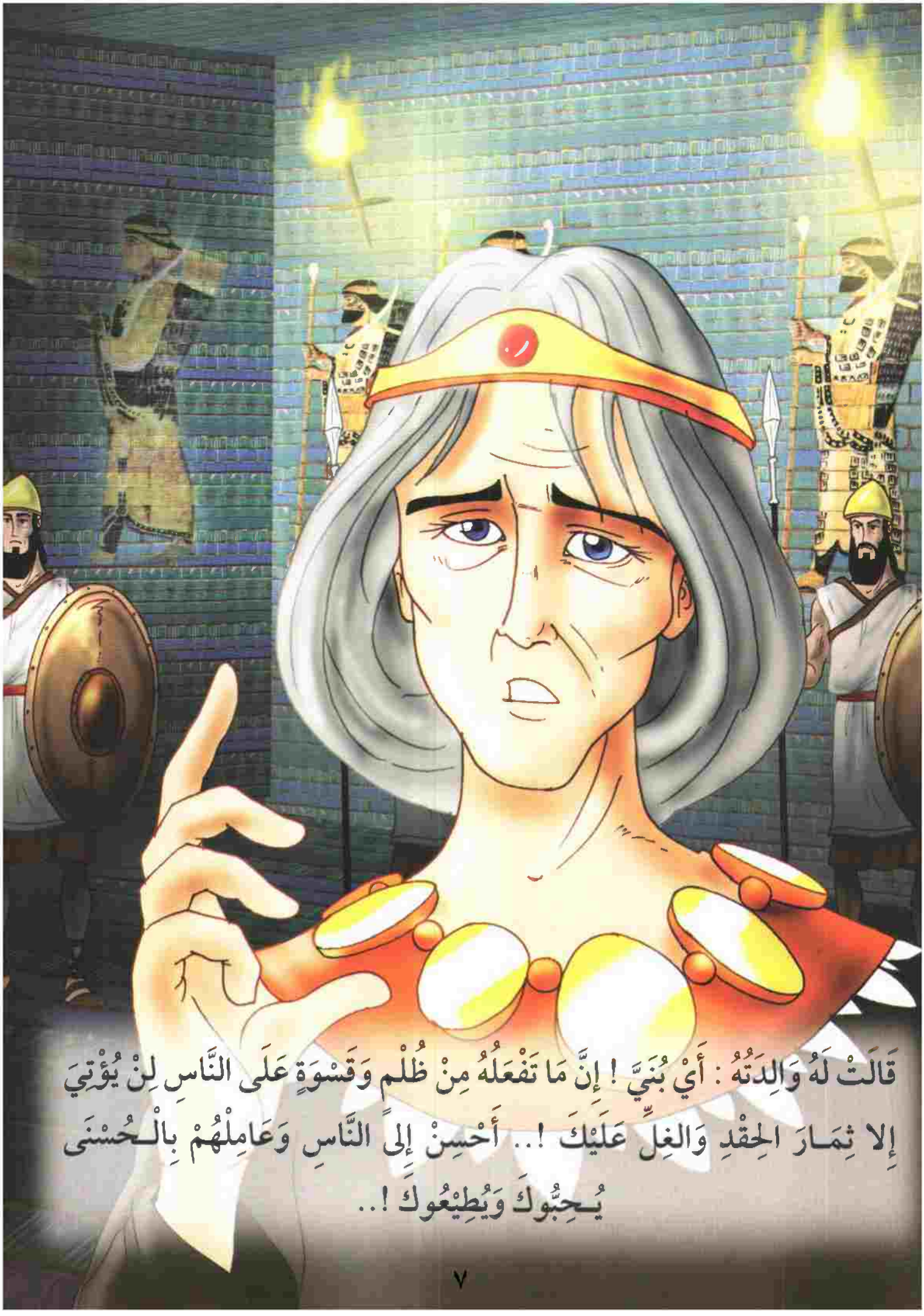

قَالَتْ لَهُ وَالِدَتُهُ : أَيْ بُنَيَّ ! إِنَّ مَا تَفْعَلُهُ مِنْ ظُلْمٍ وَقَسْوَةٍ عَلَى النَّاسِ لَنْ يُؤْتِيَ إِلا ثِمَارَ الحِقْدِ وَالغِلِّ عَلَيْكَ !.. أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ وَعَامِلْهُمْ بِالْحُسْنَى يُحِبُّوكَ وَيُطِيْعُوكَ !..

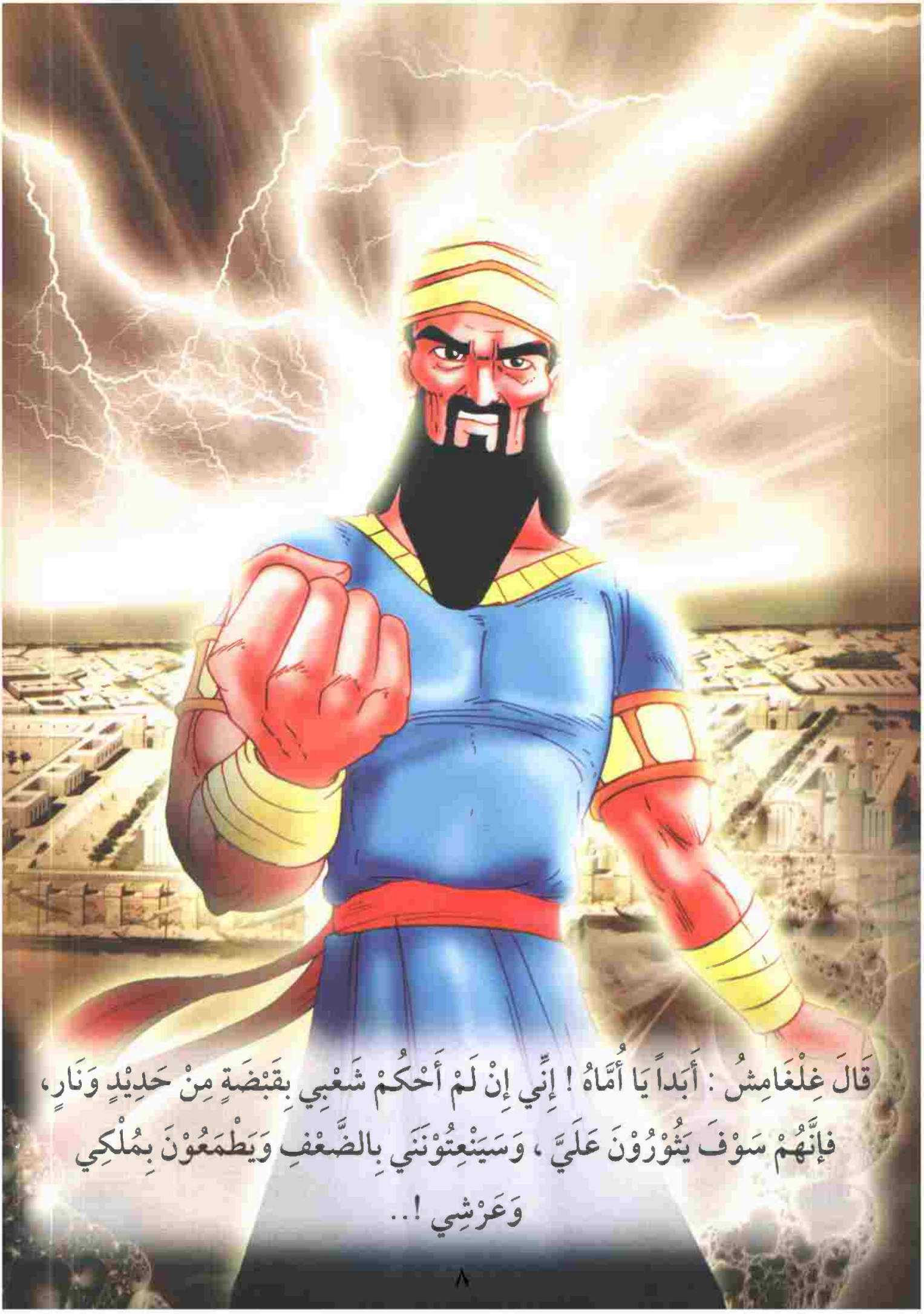

قَالَ غِلْغَامِشُ : أَبَداً يَا أُمَّاهُ ! إِنِّي إِنْ لَمْ أَحْكُمْ شَعْبِي بِقَبْضَةٍ مِنْ حَدِيْدٍ وَنَارٍ، فَإِنَّهُمْ سَوْفَ يَثُوْرُوْنَ عَلَيَّ ، وَسَيَنْعِتُوْنَنِي بِالضَّعْفِ وَيَطْمَعُوْنَ بِمُلْكِي وَعَرْشِي !..

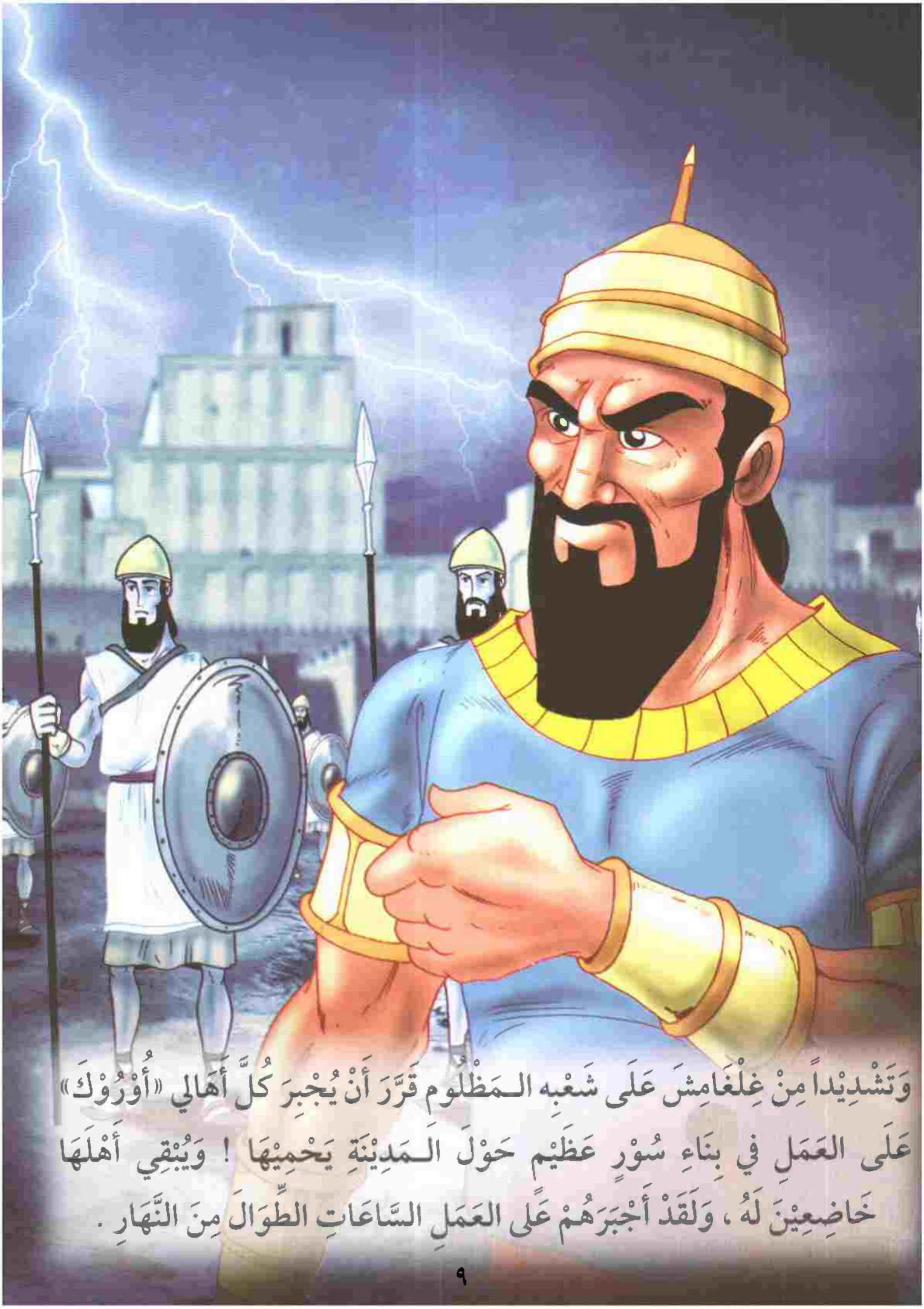

وَتَشْدِيْداً مِنْ غِلْغَامِشَ عَلَى شَعْبِه الـمَظْلُوم قَرَّرَ أَنْ يُجْبِرَ كُلَّ أَهَالِي «أُوْرُوْكَ» عَلَى العَمَلِ فِي بِنَاءِ سُوْرٍ عَظِيْم حَوْلَ الـمَدِيْنَةِ يَحْمِيْهَا ! وَيُبْقِي أَهْلَهَا خَاضِعِيْنَ لَهُ ، وَلَقَدْ أَجْبَرَهُمْ عَلَى العَمَلِ السَّاعَاتِ الطِّوَالَ مِنَ النَّهَارِ .

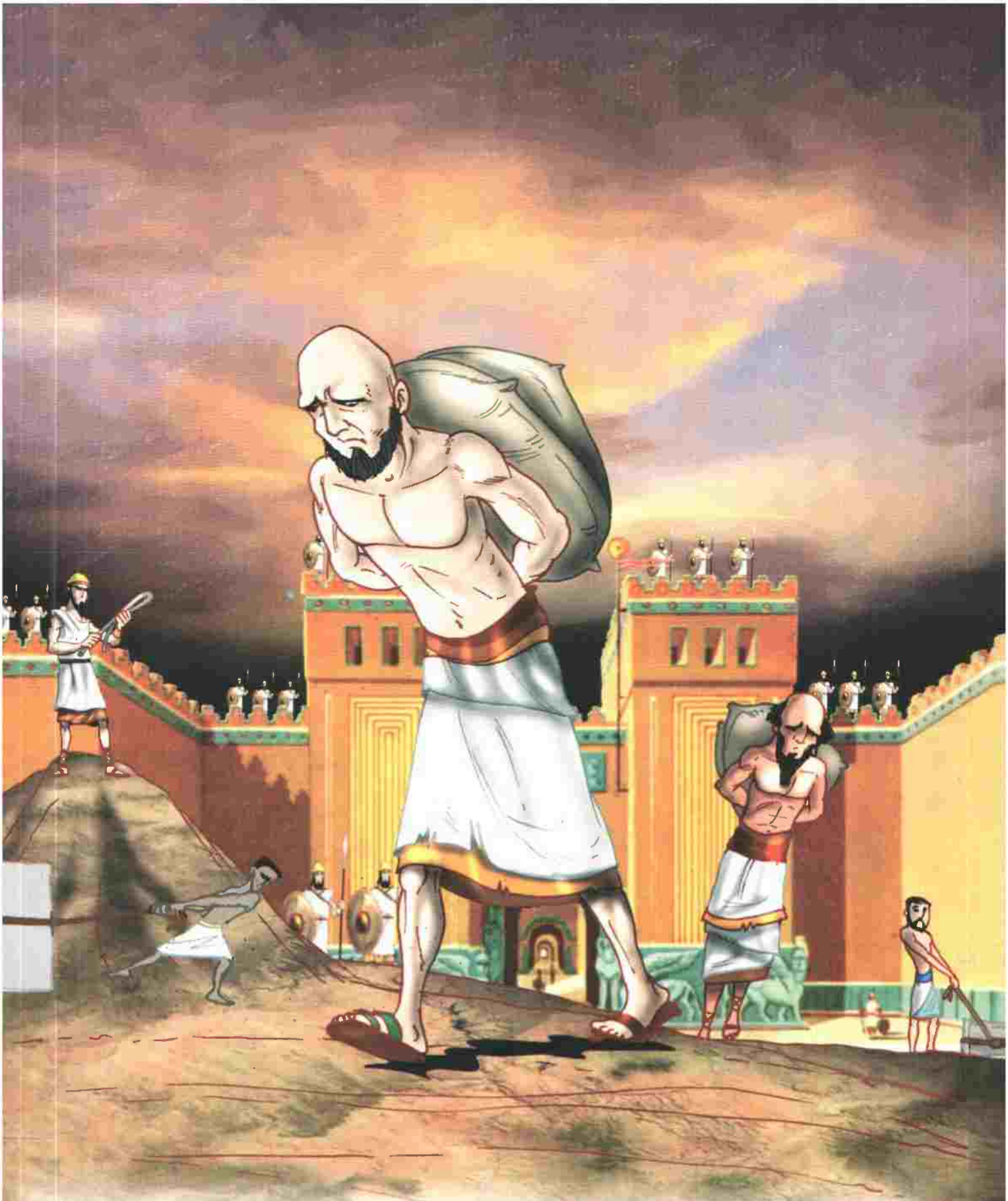

وَمَا كَانَ يَرْحَمُ فِيهِمْ ضَعِيفاً أَوْ شَيْخاً أَوِ امْرَأَةً ، فَالكُلُّ يَجِبُ أَنْ يَعْمَلَ فِي بِنَاءِ سُوْرِ «أُوْرُوْكَ» ، أَوْ فَلْيَلْقَى مَصِيْرَهُ الـمَحْتُومَ ؛ وَهُوَ السِّجْنُ !.

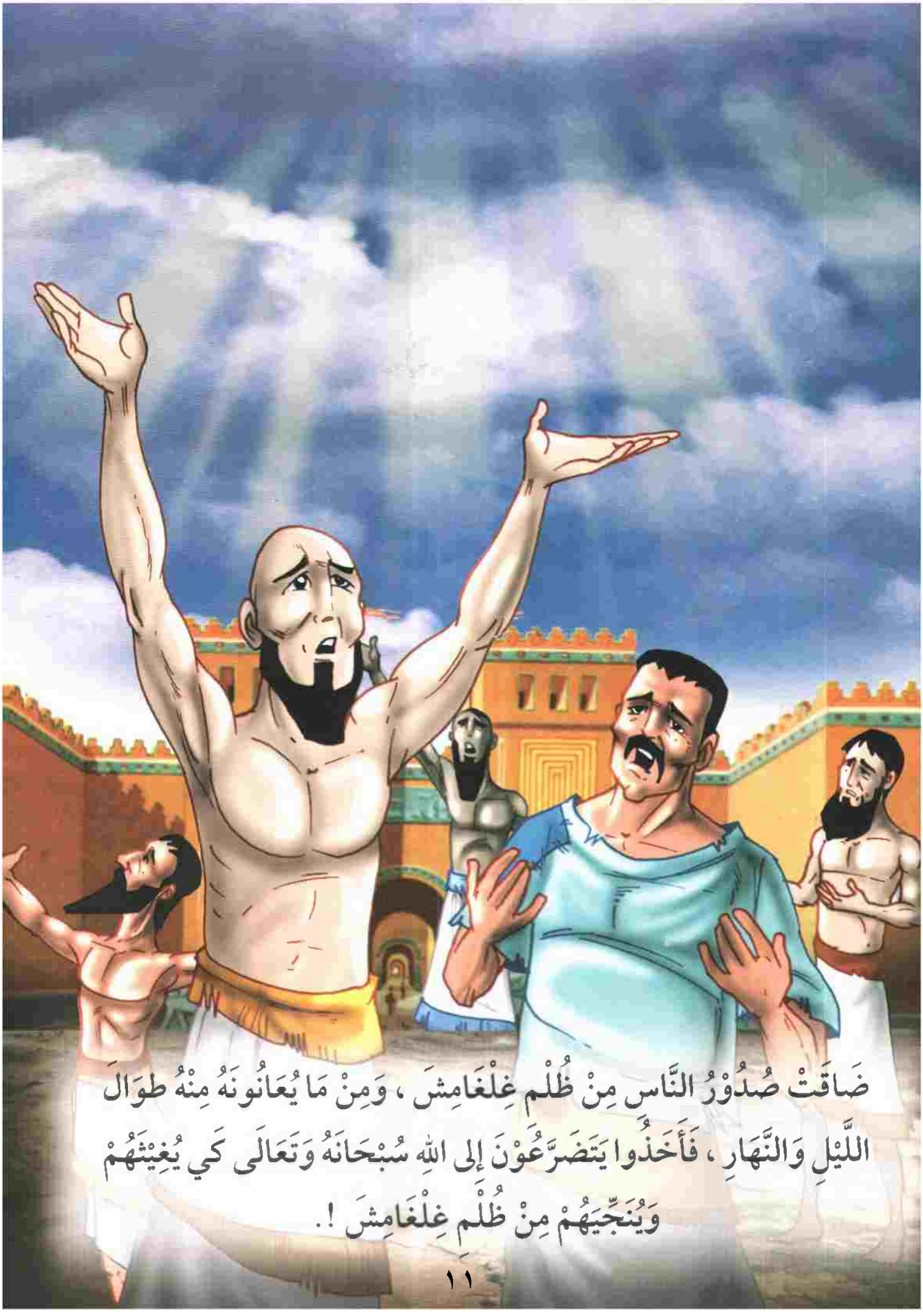

ضَاقَتْ صُدُوْرُ النَّاسِ مِنْ ظُلْمِ غِلْغَامِشَ ، وَمِنْ مَا يُعَانُونَهُ مِنْهُ طوَالَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَأَخَذُوا يَتَضَرَّعُوْنَ إِلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَي يُغِيْثَهُمْ وَيُنَجِّيَهُمْ مِنْ ظُلْمِ غِلْغَامِشَ !.

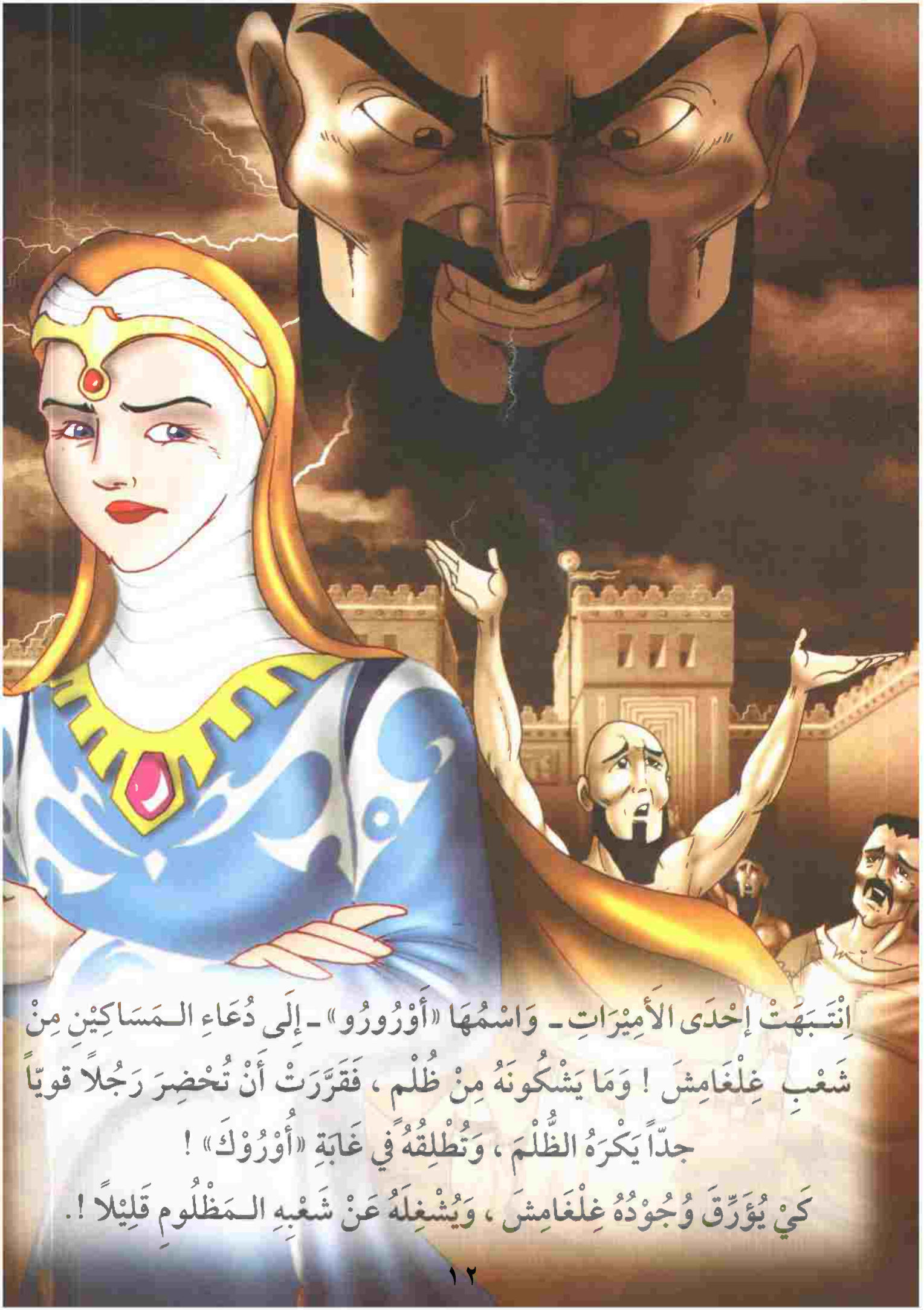

اِنْتَبَهَتْ إِحْدَى الأَمِيْرَاتِ - وَاسْمُهَا «أَوْرُورُو» - إِلَى دُعَاءِ الـمَسَاكِيْنِ مِنْ شَعْبِ غِلْغَامِشَ ! وَمَا يَشْكُونَهُ مِنْ ظُلْم ، فَقَرَّرَتْ أَنْ تُحْضِرَ رَجُلاً قويّاً جدّاً يَكْرَهُ الظُّلْمَ ، وَتُطْلِقُهُ فِي غَابَةِ «أُوْرُوْكَ» !

كَيْ يُؤَرِّقَ وُجُوْدُهُ غِلْغَامِشَ ، وَيُشْغِلَهُ عَنْ شَعْبِهِ الـمَظْلُومِ قَلِيْلاً !.

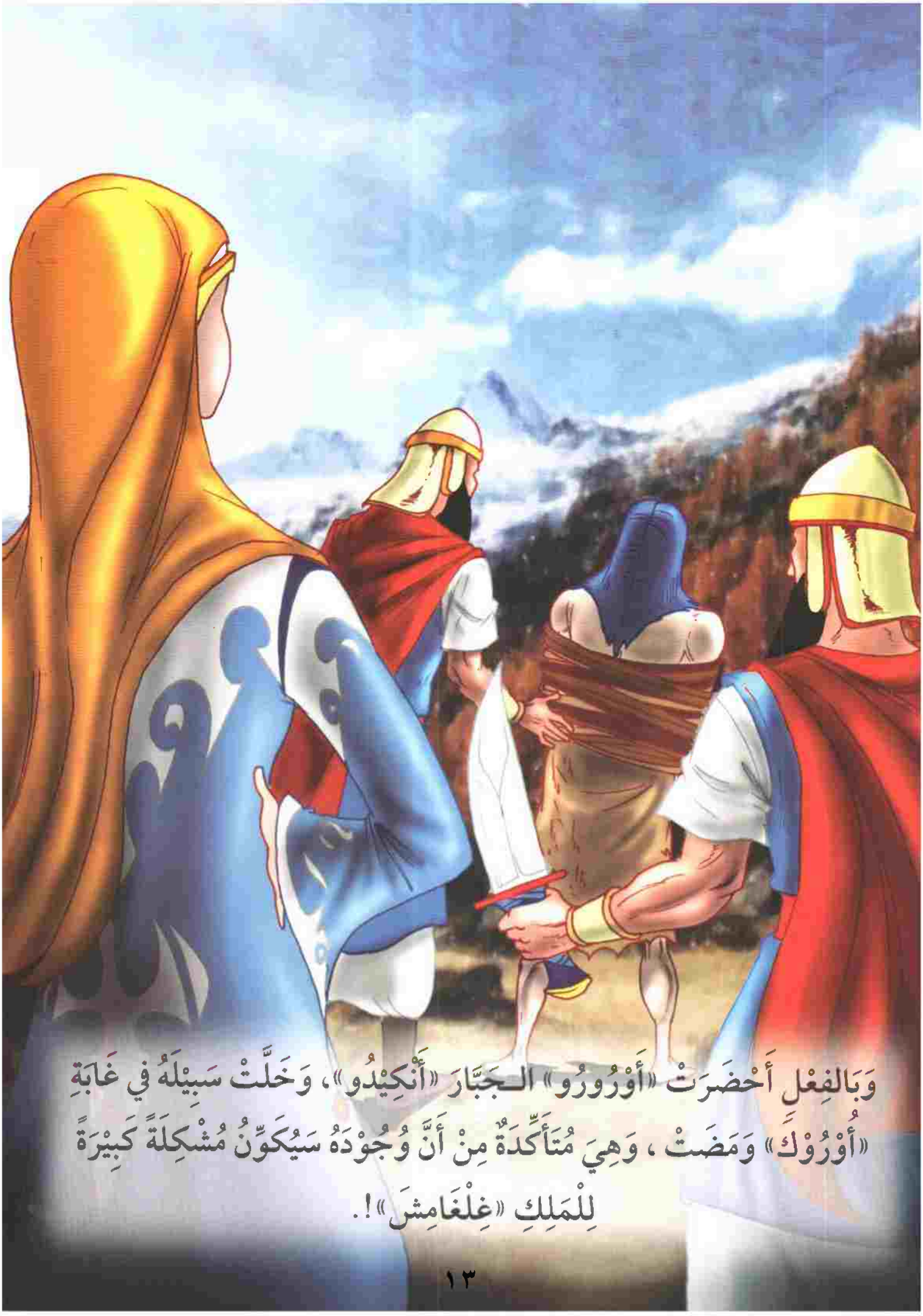

وَبَالفِعْلِ أَحْضَرَتْ «أَوْرُورُو» الـجَبَّارَ «أَنْكِيْدُو»، وَخَلَّتْ سَبِيْلَهُ فِي غَابَةِ «أُوْرُوْكَ» وَمَضَتْ ، وَهِيَ مُتَأَكِّدَةٌ مِنْ أَنَّ وُجُوْدَهُ سَيُكَوِّنُ مُشْكِلَةً كَبِيْرَةً لِلْمَلِكِ «غِلْغَامِشَ»!.

قَطَعَ «أَنْكِيْدُو» الحِبَالَ الَّتِي لُفَّتْ حَوْلَ جَسَدِهِ خَوْفاً مِنْ قُوَّتِهِ، وَرَاحَ يَسِيْحُ فِي أَرْجَاءِ غَابَةِ «أُوْرُوْكَ» وَهُوَ غَيْرُ عَالِمٍ أَيْنَ هُوَ ؟ أَوْ مَاذَا يَنْتَظِرُهُ ؟!.

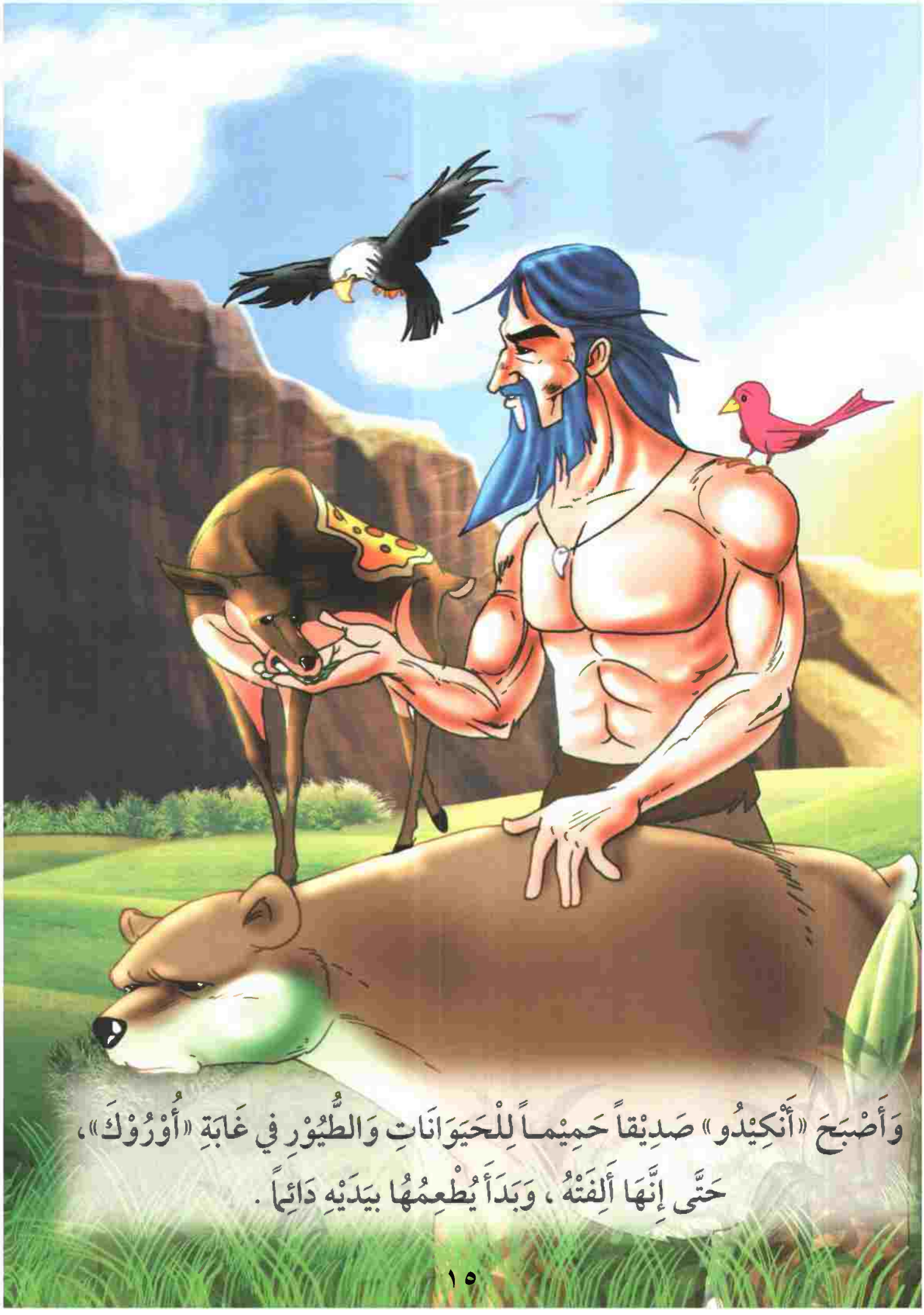

وَأَصْبَحَ «أَنْكِيْدُو» صَدِيْقاً حَمِيْماً لِلْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُوْرِ فِي غَابَةِ «أُوْرُوْكَ»،
حَتَّى إِنَّهَا أَلِفَتْهُ، وَبَدَأَ يُطْعِمُهَا بِيَدَيْهِ دَائِماً.

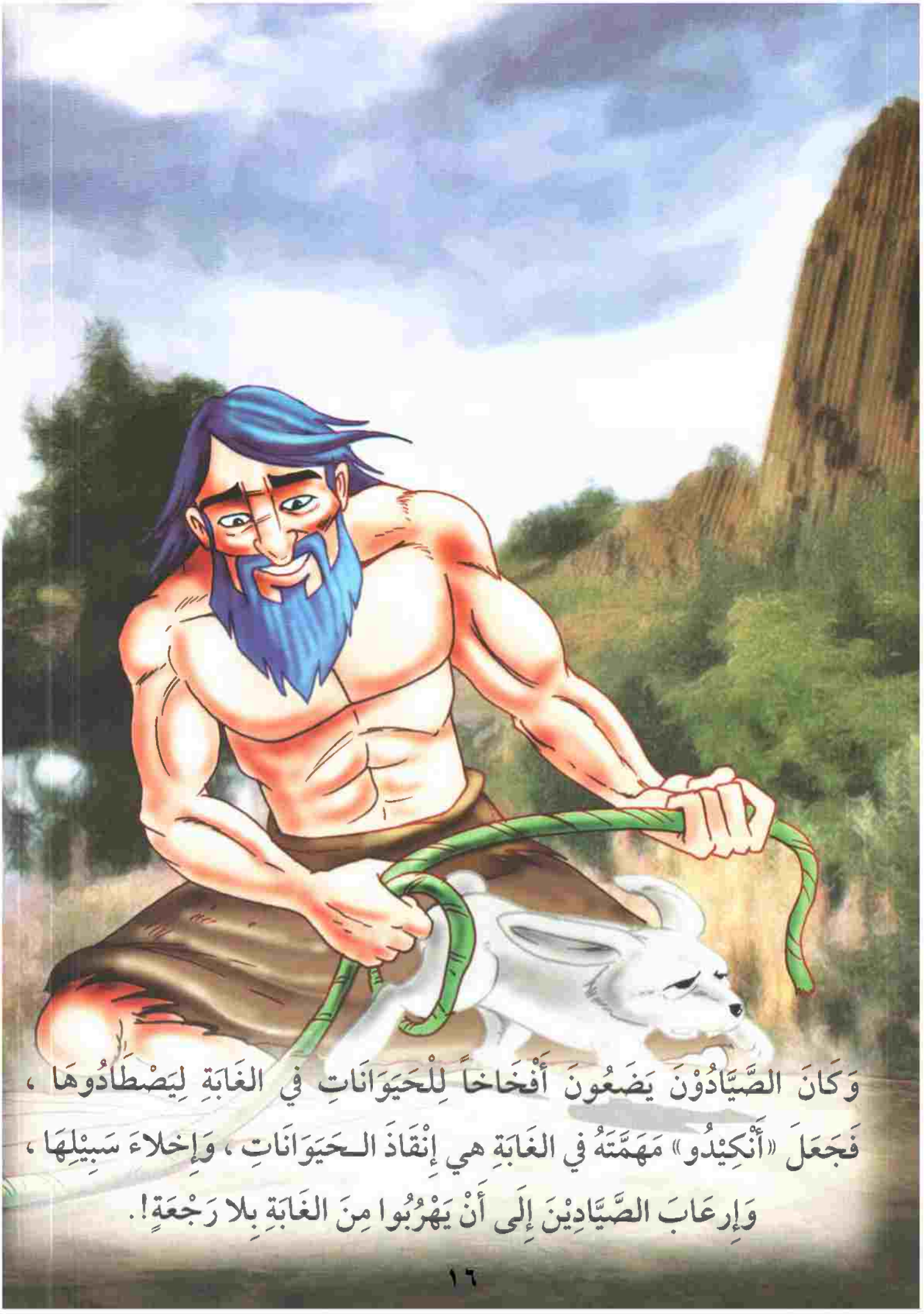

وَكَانَ الصَّيَّادُوْنَ يَضَعُونَ أَفْخَاخاً لِلْحَيَوَانَاتِ فِي الغَابَةِ لِيَصْطَادُوهَا ، فَجَعَلَ «أَنْكِيْدُو» مَهَمَّتَهُ فِي الغَابَةِ هي إِنْقَاذَ الـحَيَوَانَاتِ ، وَإِخلاءَ سَبِيْلِهَا ، وَإِرعَابَ الصَّيَّادِيْنَ إِلَى أَنْ يَهْرُبُوا مِنَ الغَابَةِ بِلا رَجْعَةٍ!.

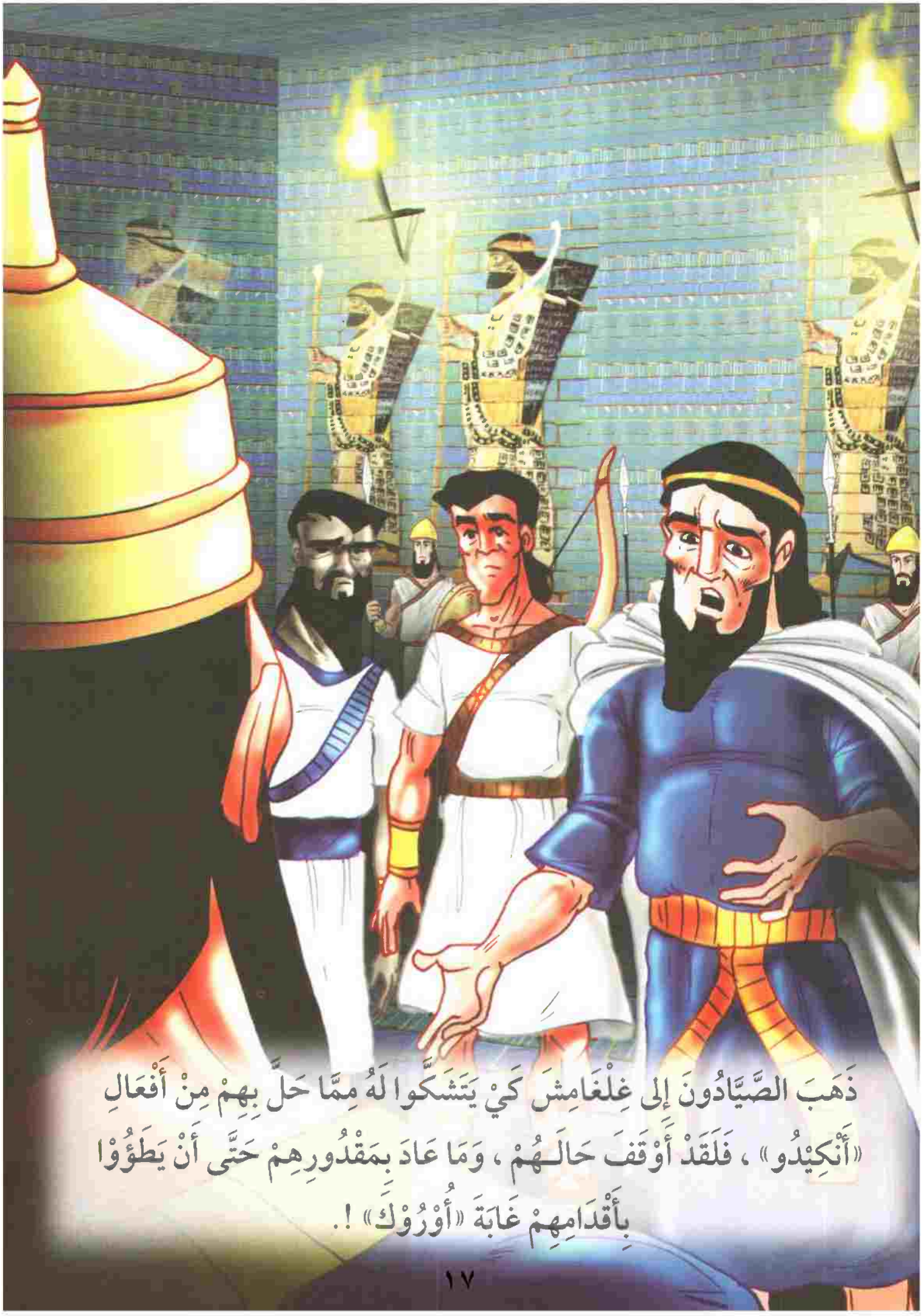

ذَهَبَ الصَّيَّادُونَ إِلى غِلْغَامِشَ كَيْ يَتَشَكَّوا لَهُ مِمَّا حَلَّ بِهِمْ مِنْ أَفْعَالِ «أَنْكِيْدُو» ، فَلَقَدْ أَوْقَفَ حَالَـهُمْ ، وَمَا عَادَ بِمَقْدُورِهِمْ حَتَّى أَنْ يَطَؤُوْا بِأَقْدَامِهِمْ غَابَةَ «أُوْرُوْكَ» !.

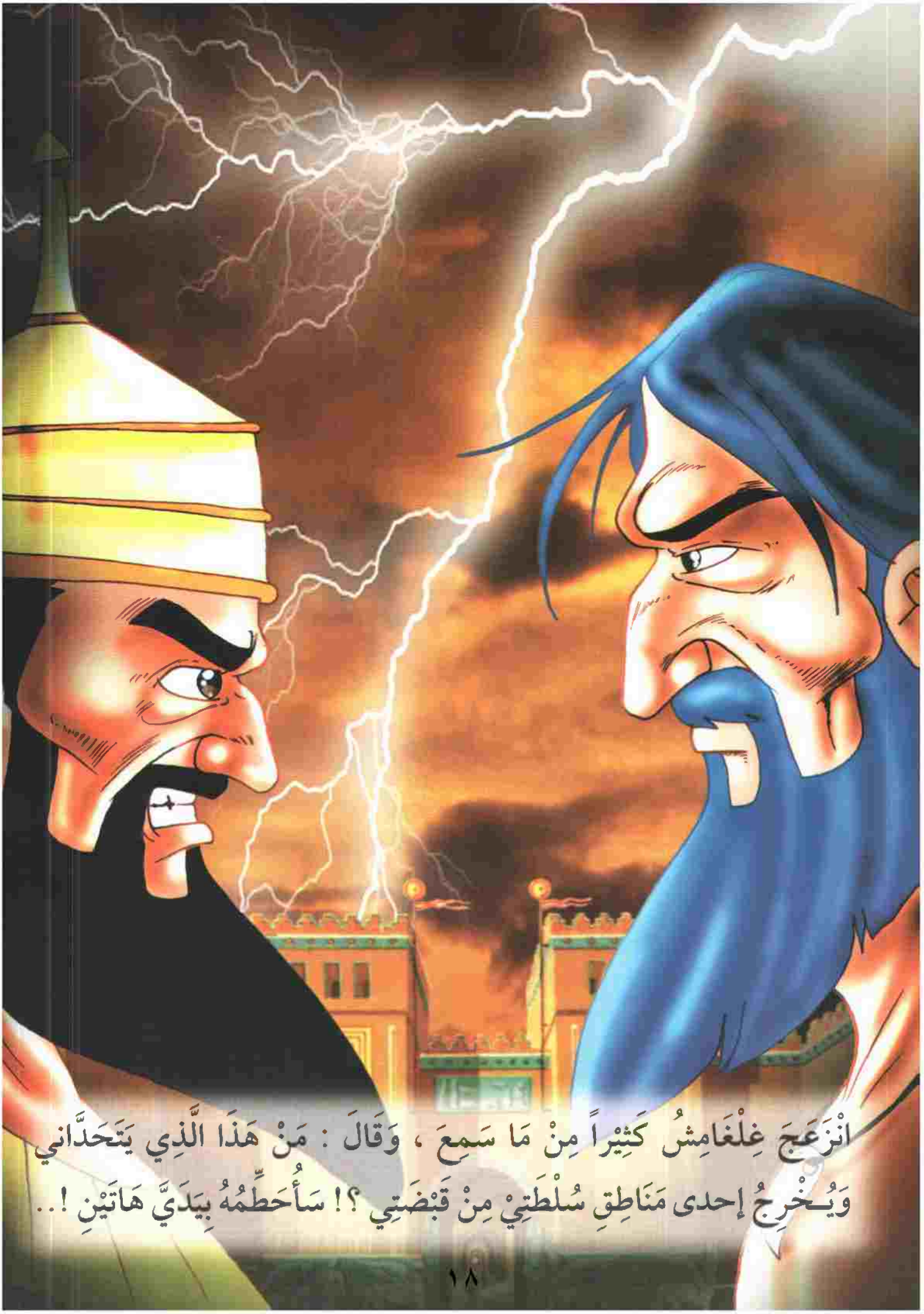

انْزَعَجَ غِلْغَامِشُ كَثِيْراً مِنْ مَا سَمِعَ ، وَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَحَدَّانِي وَيُخْرِجُ إحدى مَنَاطِقِ سُلْطَتِيْ مِنْ قَبْضَتِي ؟! سَأُحَطِّمُهُ بِيَدَيَّ هَاتَيْنِ !..

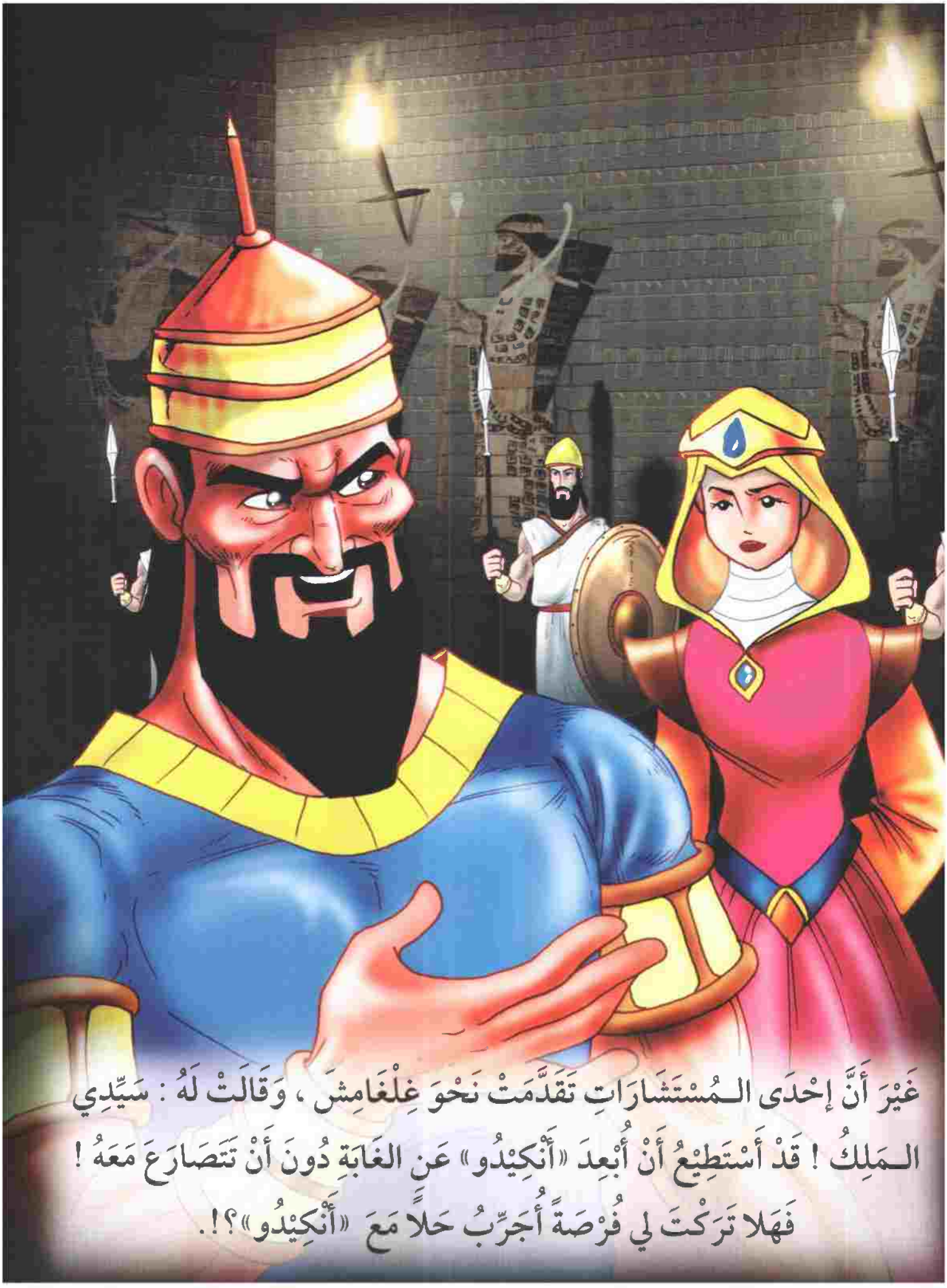

غَيْرَ أَنَّ إِحْدَى الـمُسْتَشَارَاتِ تَقَدَّمَتْ نَحْوَ غِلْغَامِشَ ، وَقَالَتْ لَهُ : سَيِّدِي الـمَلِكُ ! قَدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْعِدَ «أَنْكِيْدُو» عَنِ الغَابَةِ دُونَ أَنْ تَتَصَارَعَ مَعَهُ ! فَهَلا تَرَكْتَ لِي فُرْصَةً أُجَرِّبُ حَلاً مَعَ «أَنْكِيْدُو»؟!.

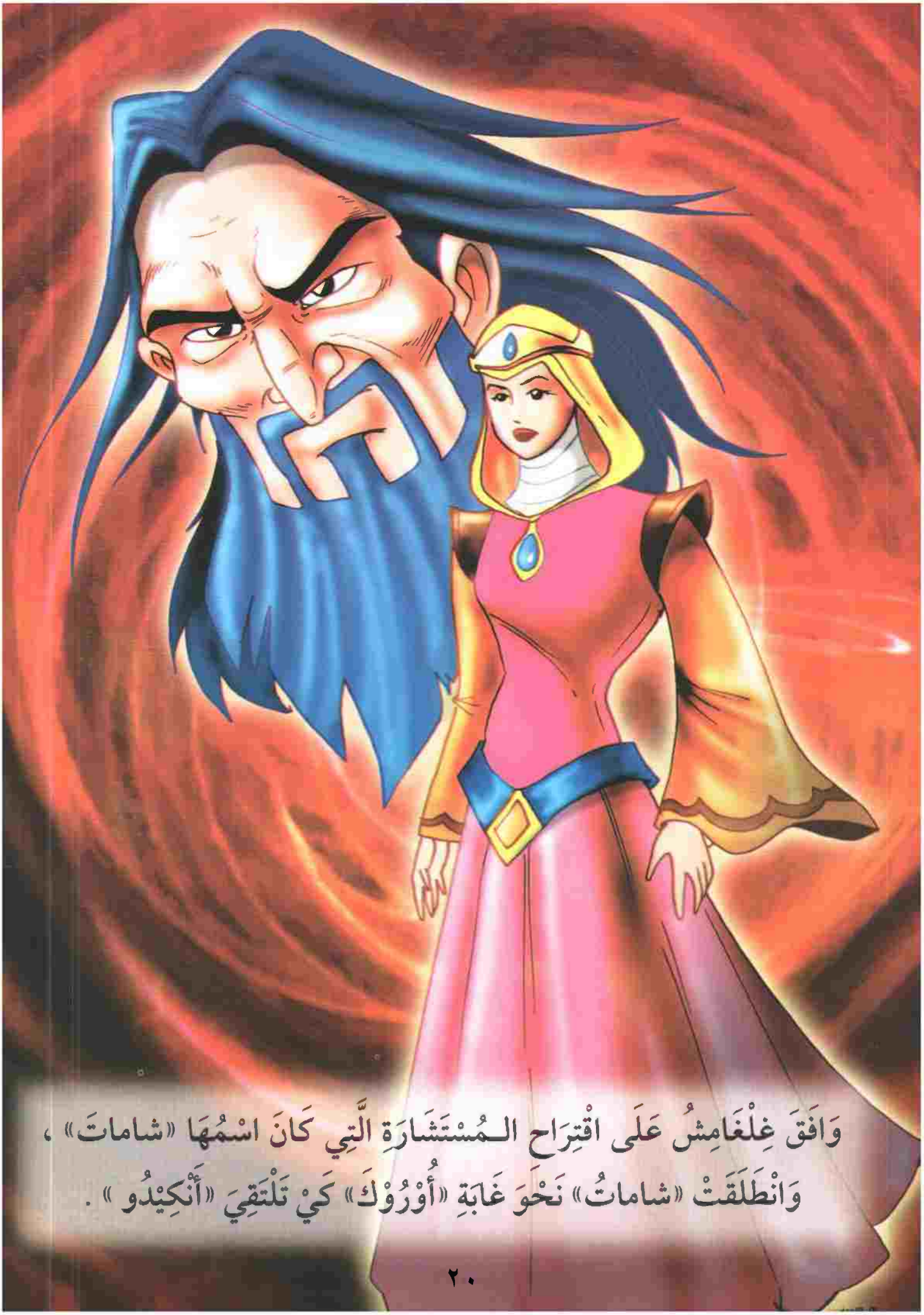

وَافَقَ غِلْغَامِشُ عَلَى اقْتِرَاحِ الـمُسْتَشَارَةِ الَّتِي كَانَ اسْمُهَا «شاماتَ» ،
وَانْطَلَقَتْ «شاماتُ» نَحْوَ غَابَةِ «أُوْرُوْكَ» كَيْ تَلْتَقِيَ «أَنْكِيْدُو» .

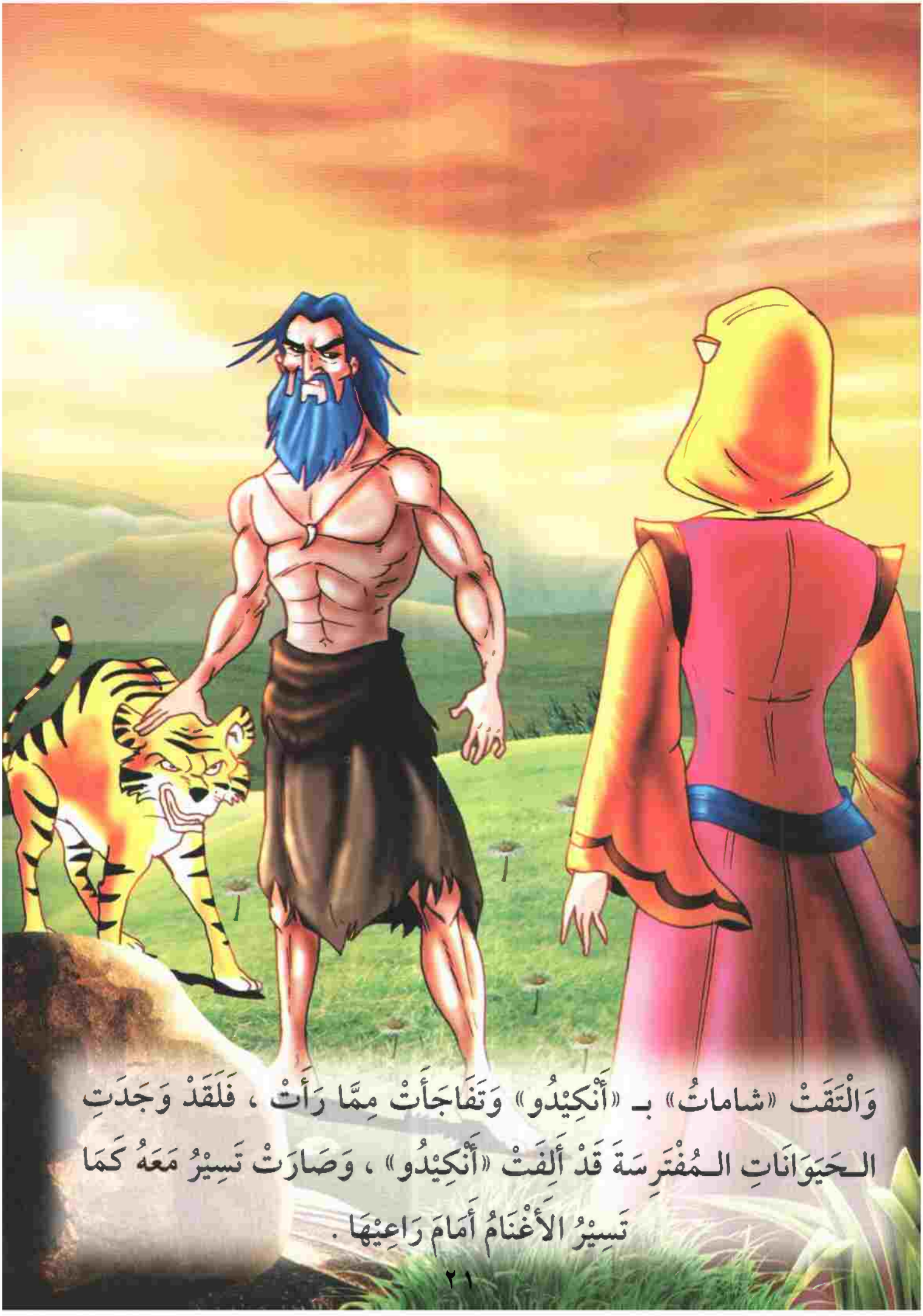

وَالْتَقَتْ «شاماتُ» بـ «أَنْكِيْدُو» وَتَفَاجَأَتْ مِمَّا رَأَتْ ، فَلَقَدْ وَجَدَتِ الـحَيَوَانَاتِ الـمُفْتَرِسَةَ قَدْ أَلِفَتْ «أَنْكِيْدُو» ، وَصَارَتْ تَسِيْرُ مَعَهُ كَمَا تَسِيْرُ الأَغْنَامُ أَمَامَ رَاعِيْهَا .

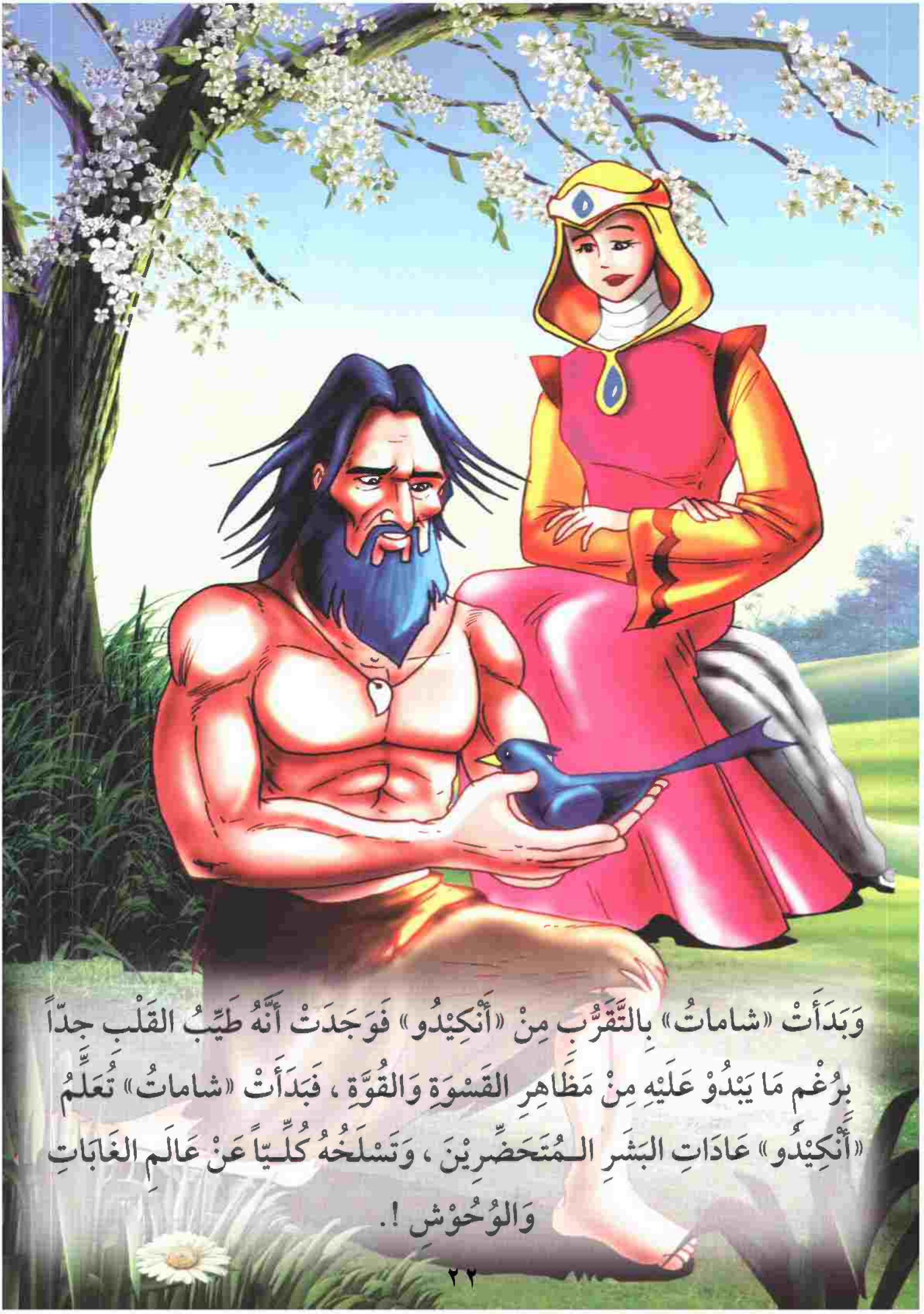

وَبَدَأَتْ «شاماتُ» بِالتَّقَرُّبِ مِنْ «أَنْكِيْدُو» فَوَجَدَتْ أَنَّهُ طَيِّبُ القَلْبِ جِدّاً بِرُغْمِ مَا يَبْدُوْ عَلَيْهِ مِنْ مَظَاهِرِ القَسْوَةِ وَالقُوَّةِ ، فَبَدَأَتْ «شاماتُ» تُعَلِّمُ «أَنْكِيْدُو» عَادَاتِ البَشَرِ الـمُتَحَضِّرِيْنَ ، وَتَسْلَخُهُ كُلِّيّاً عَنْ عَالَمِ الغَابَاتِ وَالوُحُوْشِ !.

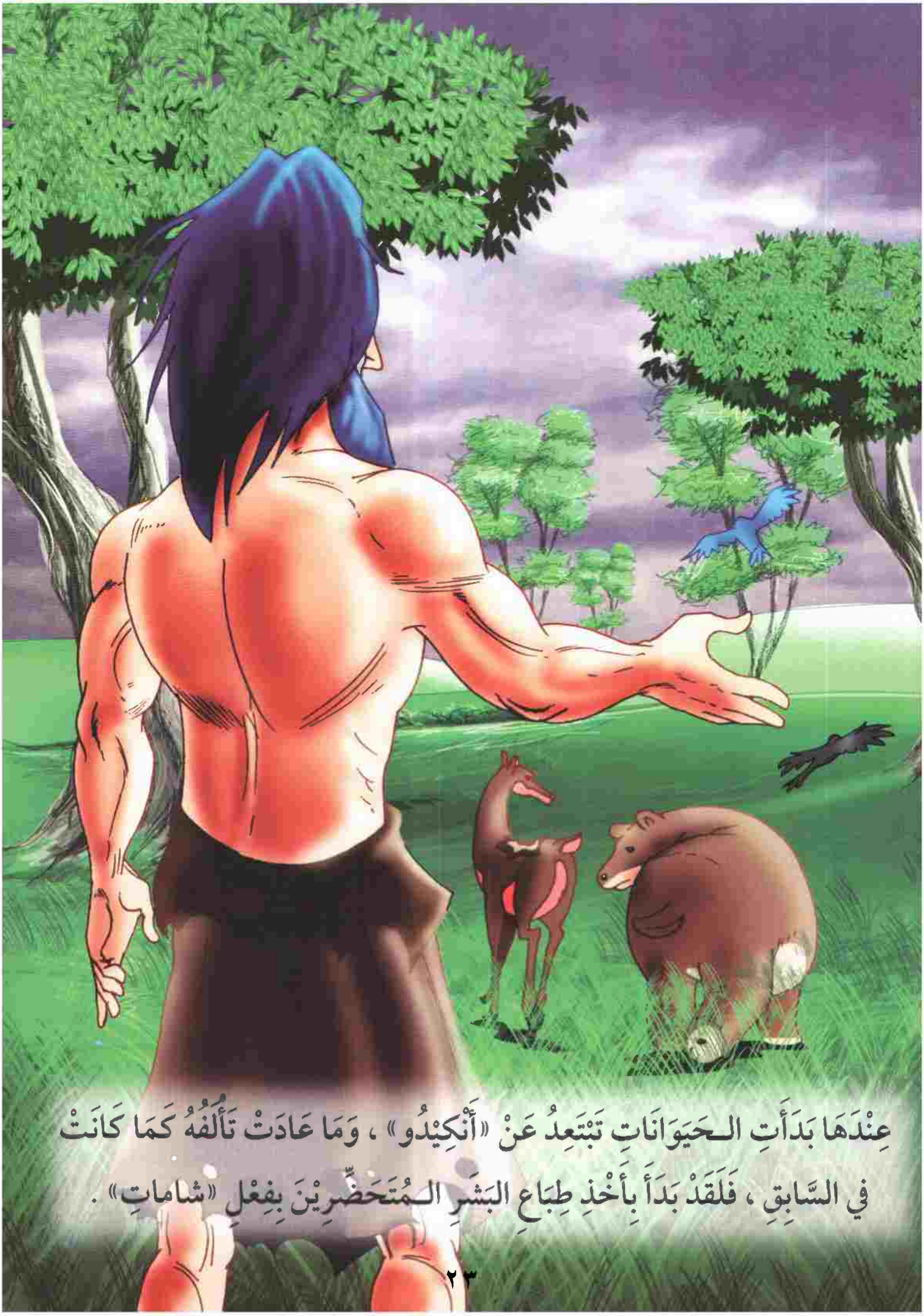

عِنْدَهَا بَدَأَتِ الـحَيَوَانَاتِ تَبْتَعِدُ عَنْ «أَنْكِيْدُو» ، وَمَا عَادَتْ تَأْلَفُهُ كَمَا كَانَتْ فِي السَّابِقِ ، فَلَقَدْ بَدَأَ بِأَخْذِ طِبَاعِ البَشَرِ الـمُتَحَضِّرِيْنَ بِفِعْلِ «شَامَاتِ» .

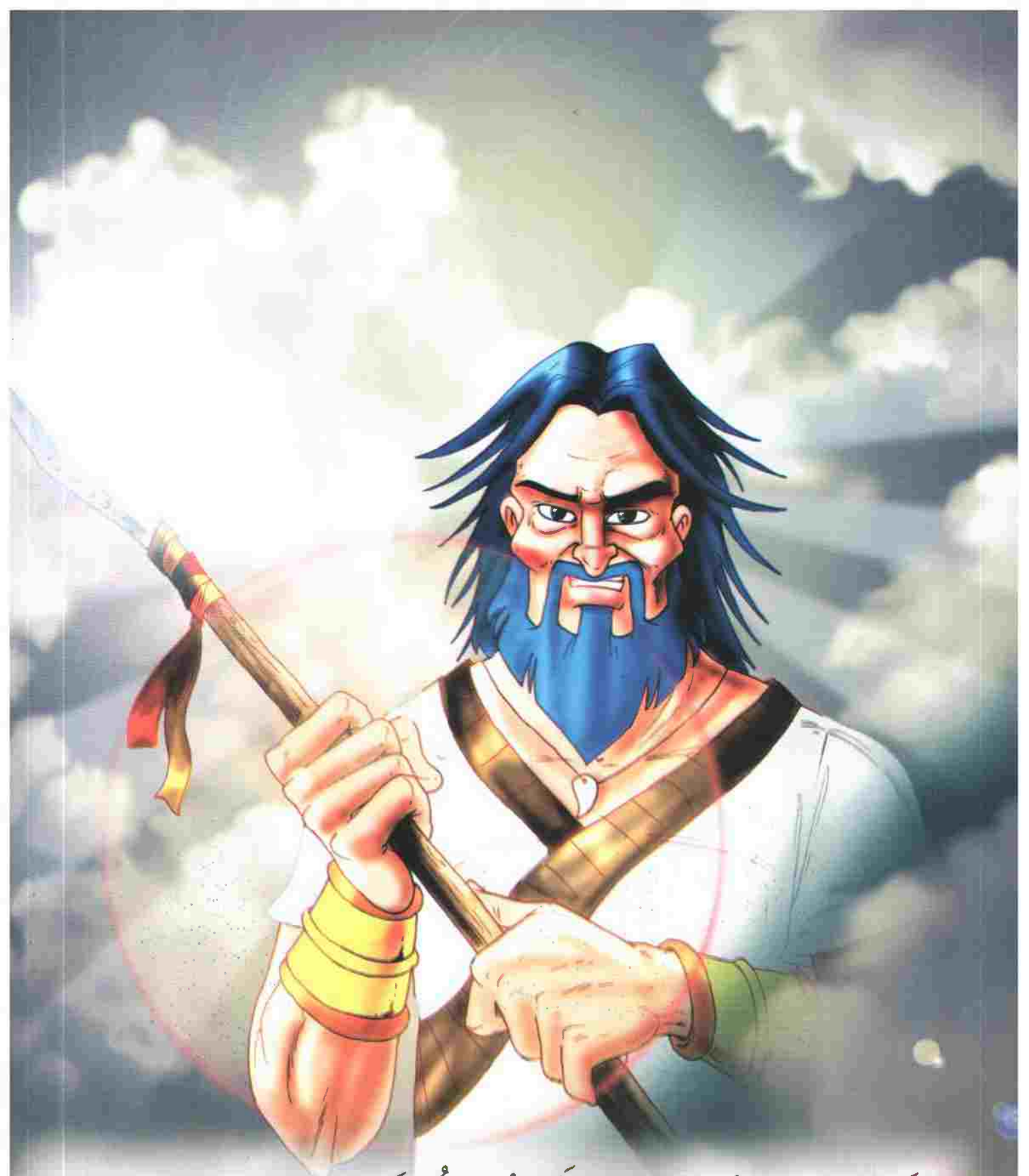

وَقَامَتْ «شاماتُ» بِتَعْلِيْمِ «أَنْكِيْدُو» طُرُقَ الـمُحَارِبِيْنَ فِي القِتَالِ ، وَاسْتِخْدَامِ السِّلاحِ وَالرِّمَاحِ ، وَلَقَدْ تَفَاجَأَتْ مِنْ سُرْعَةِ تَعَلُّمِهِ وَنُبُوْغِهِ السَّرِيْعِ فِي فُنُونِ القِتَالِ !.

وَعِنْدَمَا لَـمَسَتْ «شاماتُ» كُلَّ صِفَاتِ «أَنْكِيْدُو» الطَّيِّـبَةِ ، أَخْبَرَتْهُ بِحَقِيْقَةِ قُدُومِهَا إِلَيْهِ ، وَكَيْفَ أَنَّ الـمَلِكَ الطَّاغِيَةَ غِلْغَامِشَ أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ كَيْ تَطْرُدَهُ مِنَ الغَابَةِ ؛ لأَنَّ غِلْغَامِشَ لا يَحْتَمِلُ فِكْرَةَ وُجُودِ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فِي «أُوْرُوْكَ» .

عِنْدَهَا قَالَ لَـهَا «أَنْكِيْدُو» : اذْهَبِي يَا شَامَاتُ إِلى غِلْغَامِشَ ، وَقُولي لَهُ : إِنَّنِـي أَدْعُوْهُ إِلَى الـمُبَارَزَةِ ؛ لأُبَرْهِنَ لَهُ أَنَّنِـي أَقْوَى مِنْهُ ، وَأَسْتَطِيْعُ هَزِيْمَتَهُ ، وَمَنْ يَفُزْ مِنَّا يَحْكُم الغَابَةَ .

حَاوَلَتْ «شاماتُ» إِقْنَاعَ «أَنْكِيْدُو» بِالعُدُولِ عَنِ الفِكْرَةِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تُفْلِحْ !.

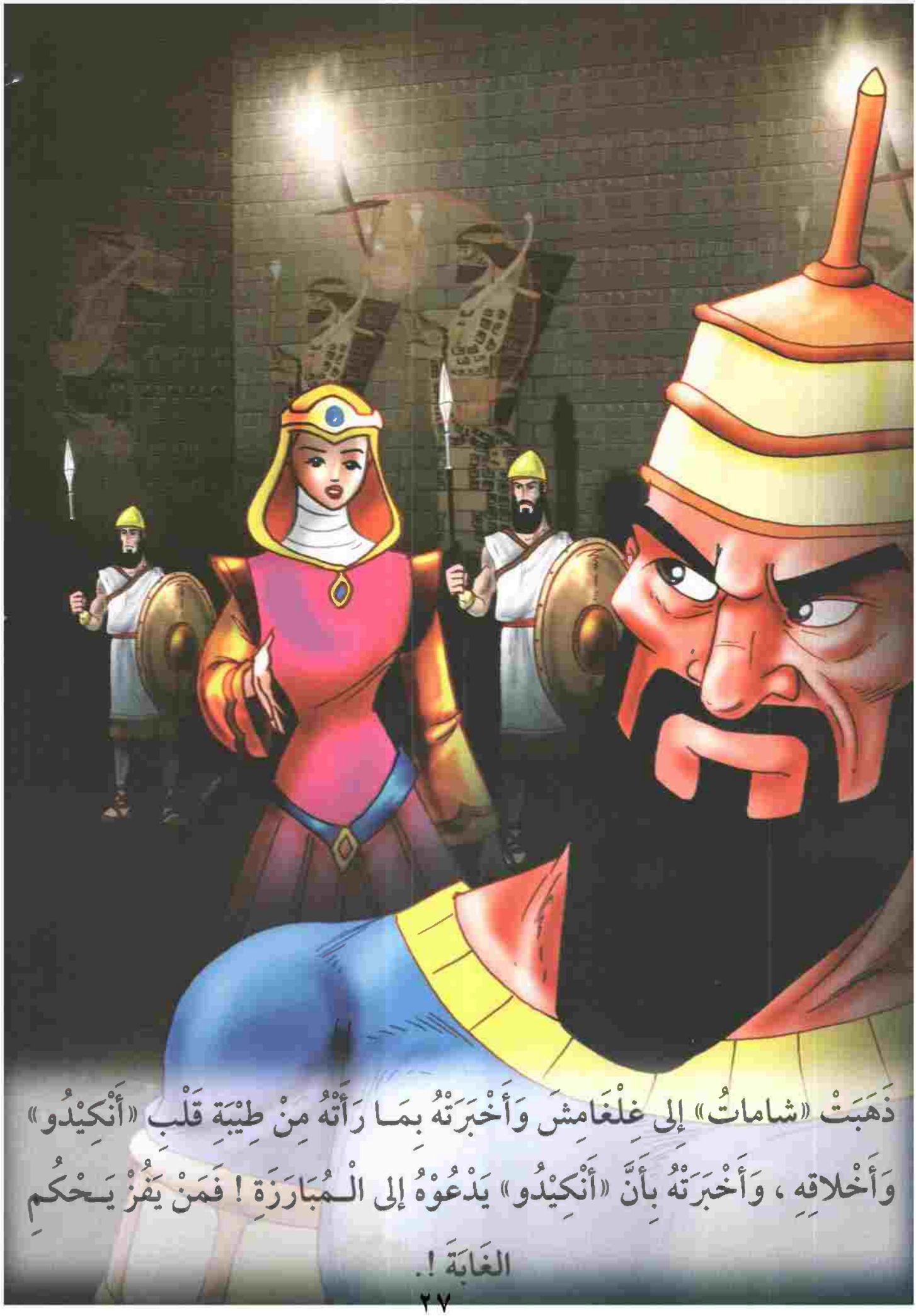

ذَهَبَتْ «شاماتُ» إلى غِلْغَامِشَ وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا رَأَتْهُ مِنْ طِيْبَةِ قَلْبِ «أَنْكِيْدُو» وَأَخْلاقِهِ ، وَأَخْبَرَتْهُ بِأَنَّ «أَنْكِيْدُو» يَدْعُوْهُ إلى الْمُبَارَزَةِ ! فَمَنْ يَفُزْ يَحْكُمِ الغَابَةَ !.

غَضِبَ غِلْغَامِشُ غَضَباً عَارِماً ! وَقَرَّرَ التَّوَجُّهَ نَحْوَ غَابَةِ «أُوْرُوْكَ» ، وَسَحْقَ «أَنْكِيْدُو» !..

وَفي اليَوْمِ التَّالي ، لَبِسَ غِلْغَامِشُ مَلابِسَهُ الـحَرْبِيَّةَ ، وَانْطَلَقَ مُنْفَرِداً نَحْوَ الغَابَةِ ، قَاصِداً القَضَاءَ عَلَى «أنكيدو» !.

وَقَفَ غِلْغَامِشُ فِي وَسَطِ الغَابَةِ وَرَاحَ يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

أَنْكِـــــــيْدُو ! أَنْكِيْدُو ! اظْهَرْ يَا جَبَانُ ! هَا أَنَا ذَا الـمَلِكُ غِلْغَامِشُ

جِئْتُ كَيْ أُحَطِّمَكَ أَنْتَ وَكُلَّ مَنْ يَتَحَدَّانِي !.

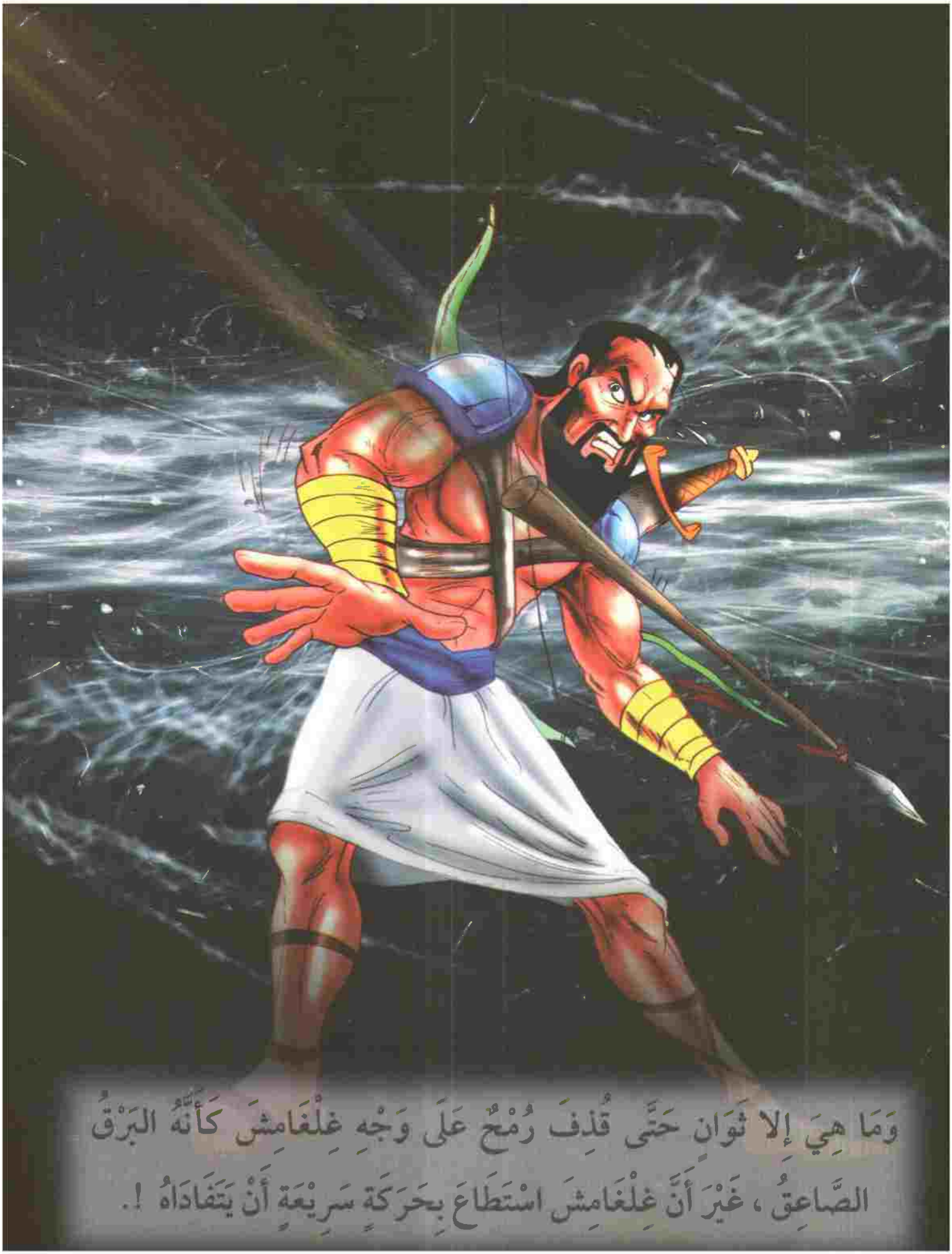

وَمَا هِيَ إلا ثَوَانٍ حَتَّى قُذِفَ رُمْحٌ عَلَى وَجْهِ غِلْغَامِشَ كَأَنَّهُ البَرْقُ الصَّاعِقُ ، غَيْرَ أَنَّ غِلْغَامِشَ اسْتَطَاعَ بِحَرَكَةٍ سَرِيْعَةٍ أَنْ يَتَفَادَاهُ !.

وَبَعْدَهَا فَوْراً قَفَزَ «أَنْكِيْدُو» كَالنَّمِرِ مِنْ بَيْنِ الأَحْرَاشِ ، وَقَدِ اسْتَلَّ رُمْحَهُ مُصَوِّباً إِيَّاهُ نَحْوَ غِلْغَامِشَ ! مُحَاوِلاً قَتْلَهُ ، غَيْرَ أَنَّ غِلْغَامِشَ تَدَحْرَجَ عَلَى الأَرْضِ مُتَفَادِياً هَذَا الهُجُومَ الفُجَائِيَّ !.

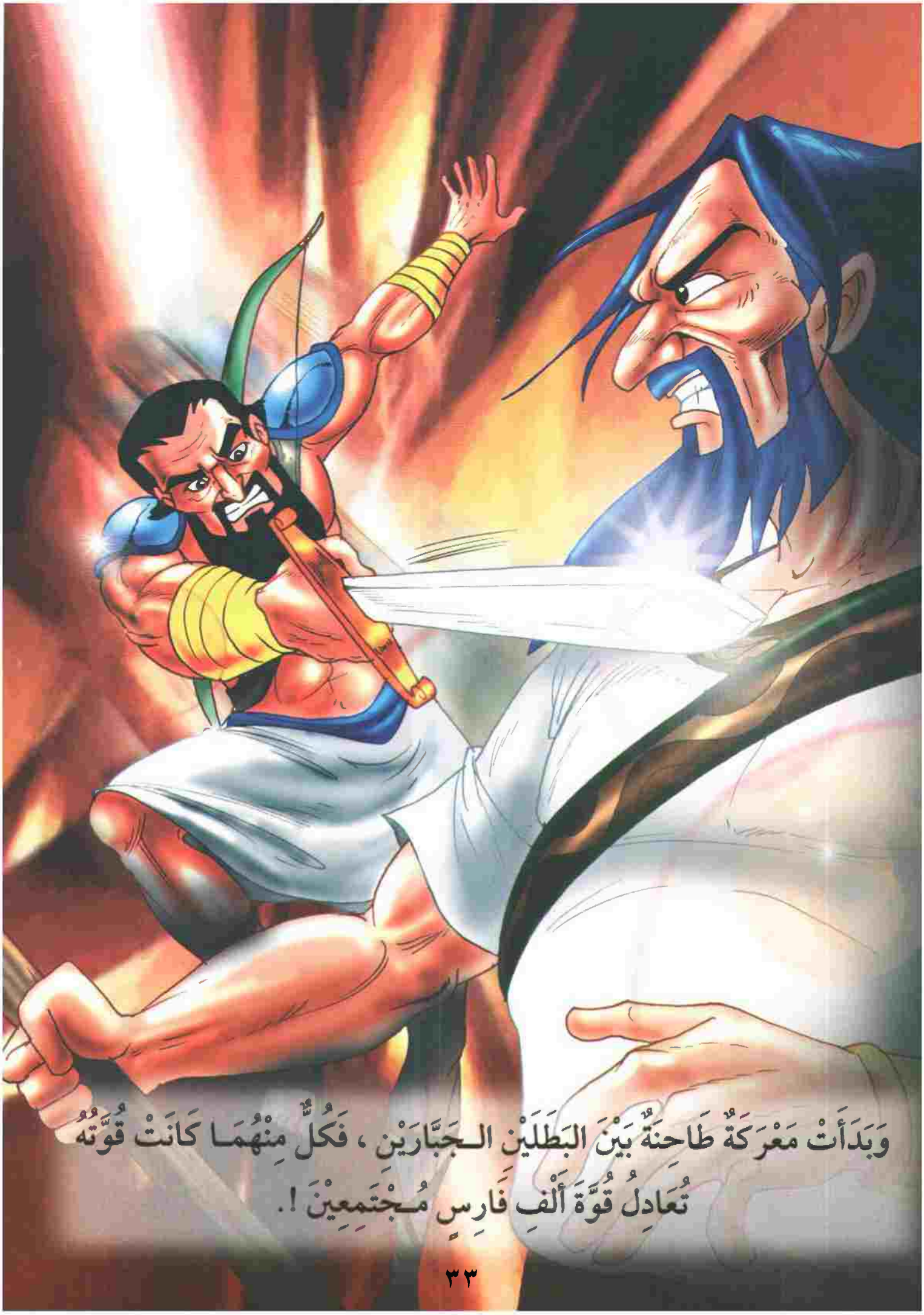

وَبَدَأَتْ مَعْرَكَةٌ طَاحِنَةٌ بَيْنَ البَطَلَيْنِ الـجَبَّارَيْنِ ، فَكُلٌّ مِنْهُمَـا كَانَتْ قُوَّتُهُ تُعَادِلُ قُوَّةَ أَلْفِ فَارِسٍ مُـجْتَمِعِيْنَ !.

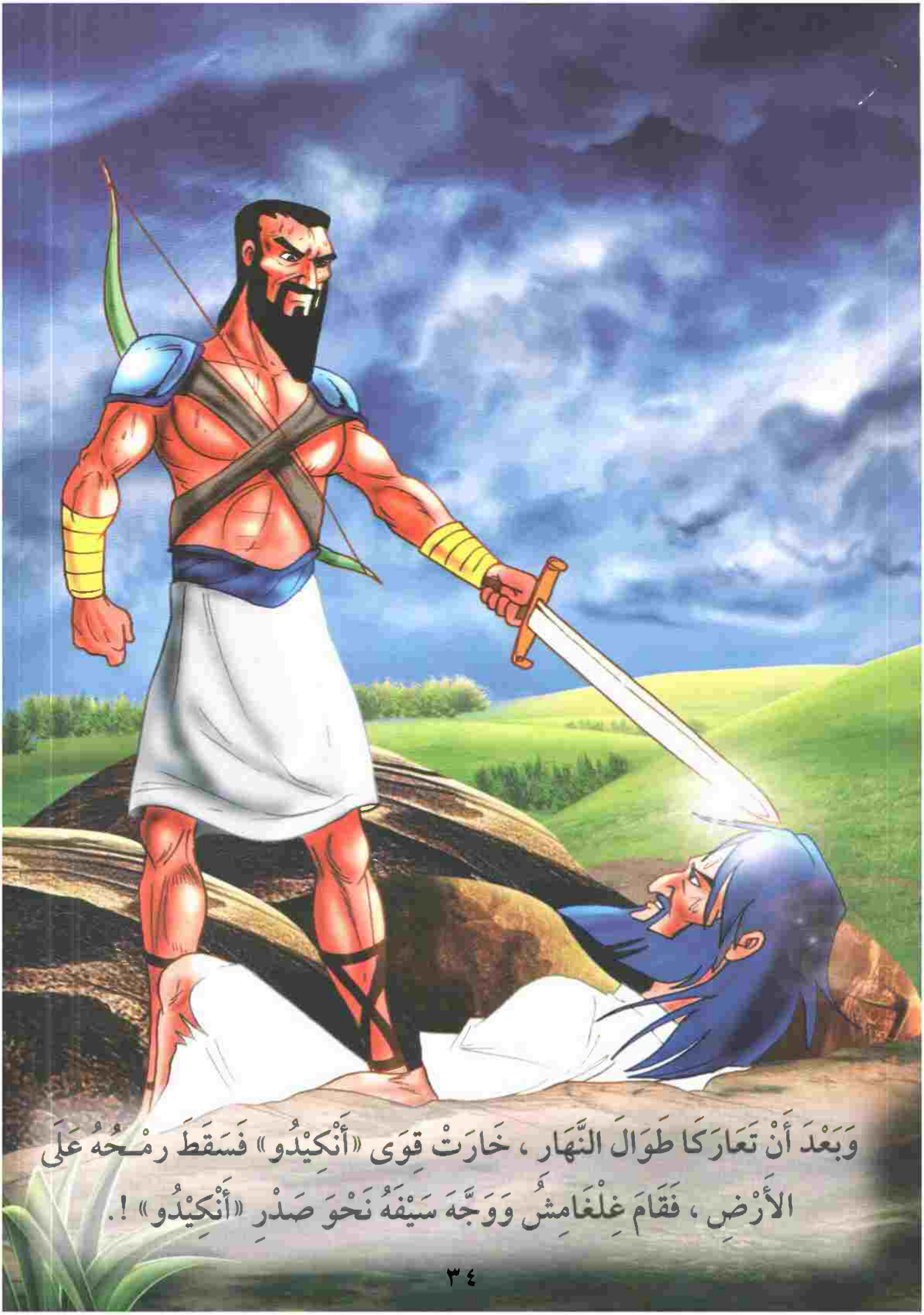

وَبَعْدَ أَنْ تَعَارَكَا طَوَالَ النَّهَارِ ، خَارَتْ قِوَى «أَنْكِيْدُو» فَسَقَطَ رُمْحُهُ عَلَى الأَرْضِ ، فَقَامَ غِلْغَامِشُ وَوَجَّهَ سَيْفَهُ نَحْوَ صَدْرِ «أَنْكِيْدُو» !.

عِنْدَهَا قَالَ غِلْغَامِشُ لأَنْكِيْدُو : لَمْ أُصَادِفْ فِي حَيَاتِي كُلِّهَا رَجُلاً بِقُوَّتِكَ وَقُدْرَةِ تَحَمُّلِكَ !.. وَإِنَّ مَوْتَ أَمْثَالِكَ خَسَارَةٌ ، فَمَا رَأْيُكَ أَنْ نُصْبِحَ صَدِيْقَيْنِ يُعِيْنُ بَعْضُنَا بَعْضاً ؟! قَالَ لَهُ أَنْكِيْدُو : أُوَافِقُ عَلَى أَنْ لا نُعِيْنَ بَعْضَنَا إِلَّا عَلَى خَيْرٍ !.. فَقَالَ غِلْغَامِشُ : أُوَافِقُ !..

وَمَضَى الاثْنَانِ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَا صَدِيْقَيْنِ حَمِيْمَيْنِ ! مُتَعَاهِدَيْنِ عَلَى الـخَيْرِ لَـهُمَا وَلِلنَّاسِ !..

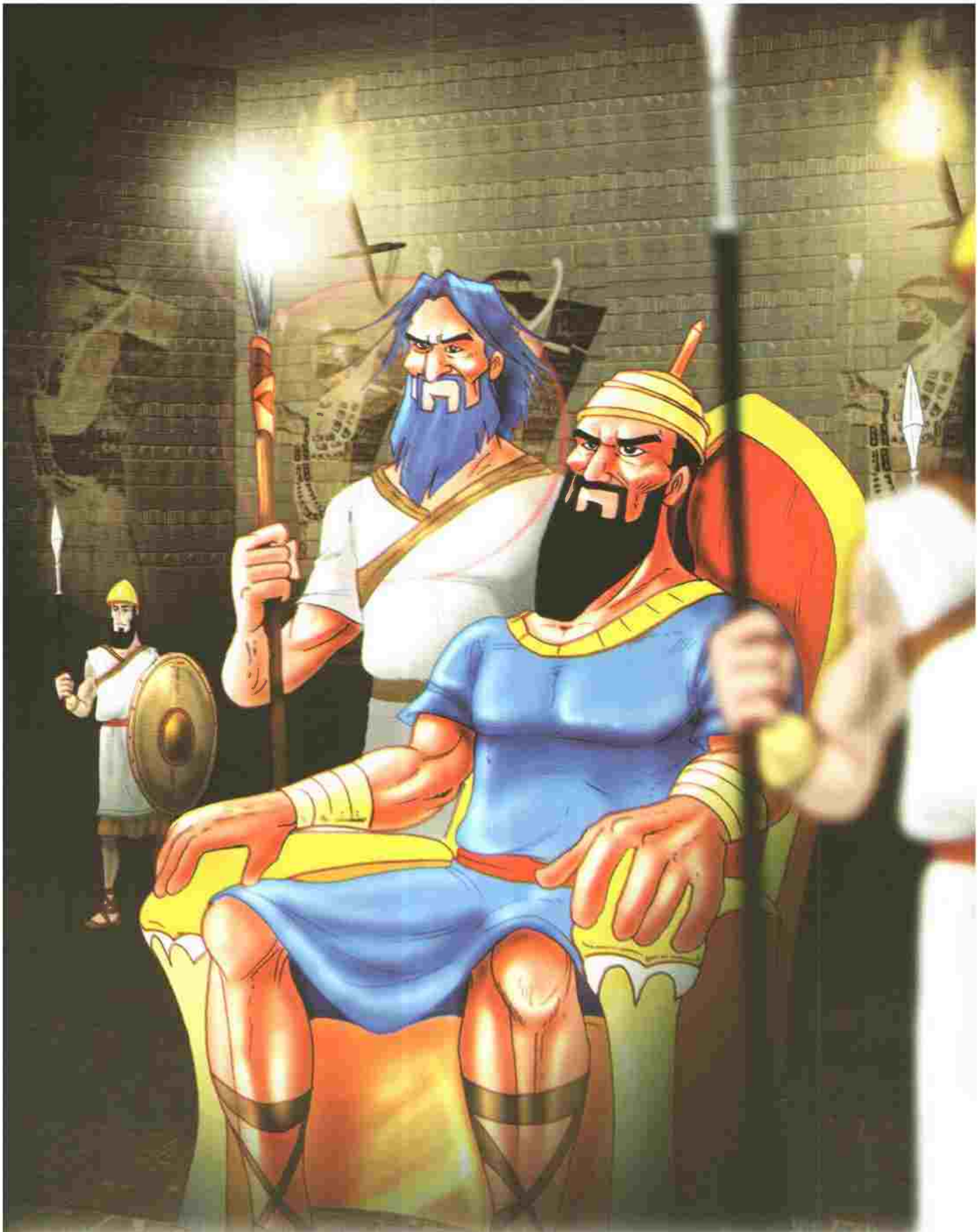

وَعَادَ «أَنْكِيْدُو» مَعَ غِلْغَامِشَ ، وَبَدَأَ يُبْدِي لَهُ النُّصْحَ فِي حُكْمِ مَمْلَكَتِهِ وَشَعْبِهِ ، غَيْرَ أَنَّ غِلْغَامِشَ كَانَ نَادِراً مَا يَسْتَمِعُ لِنُصْحِ «أَنْكِيْدُو» !..

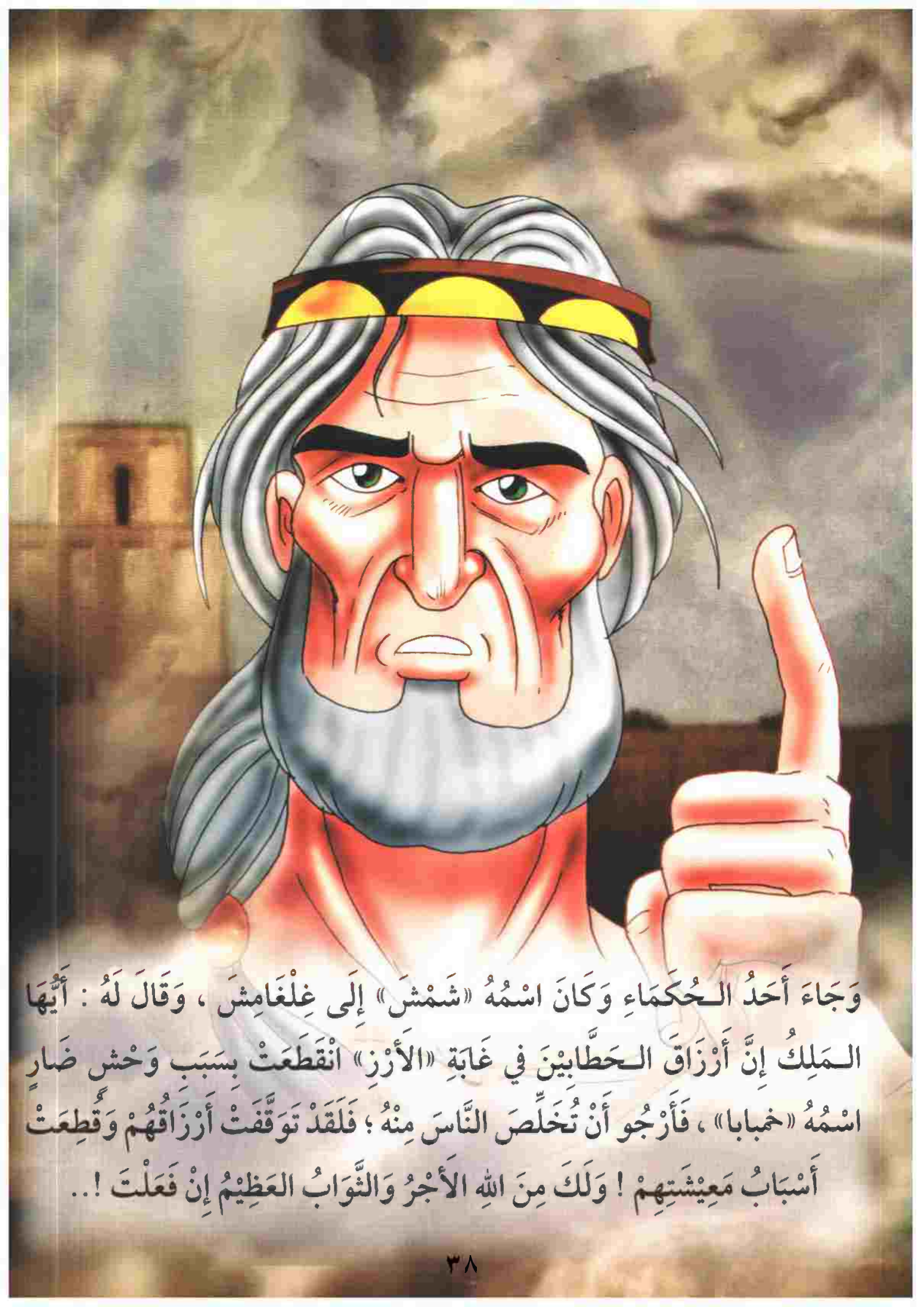

وَجَاءَ أَحَدُ الـحُكَمَاءِ وَكَانَ اسْمُهُ «شَمْشَ» إِلَى غِلْغَامِشَ ، وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الـمَلِكُ إِنَّ أَرْزَاقَ الـحَطَّابِيْنَ فِي غَابَةِ «الأَرْزِ» انْقَطَعَتْ بِسَبَبِ وَحْشٍ ضَارٍ اسْمُهُ «خمبابا» ، فَأَرْجُو أَنْ تُخَلِّصَ النَّاسَ مِنْهُ ؛ فَلَقَدْ تَوَقَّفَتْ أَرْزَاقُهُمْ وَقُطِعَتْ أَسْبَابُ مَعِيْشَتِهِمْ ! وَلَكَ مِنَ اللهِ الأَجْرُ وَالثَّوَابُ العَظِيْمُ إِنْ فَعَلْتَ !..

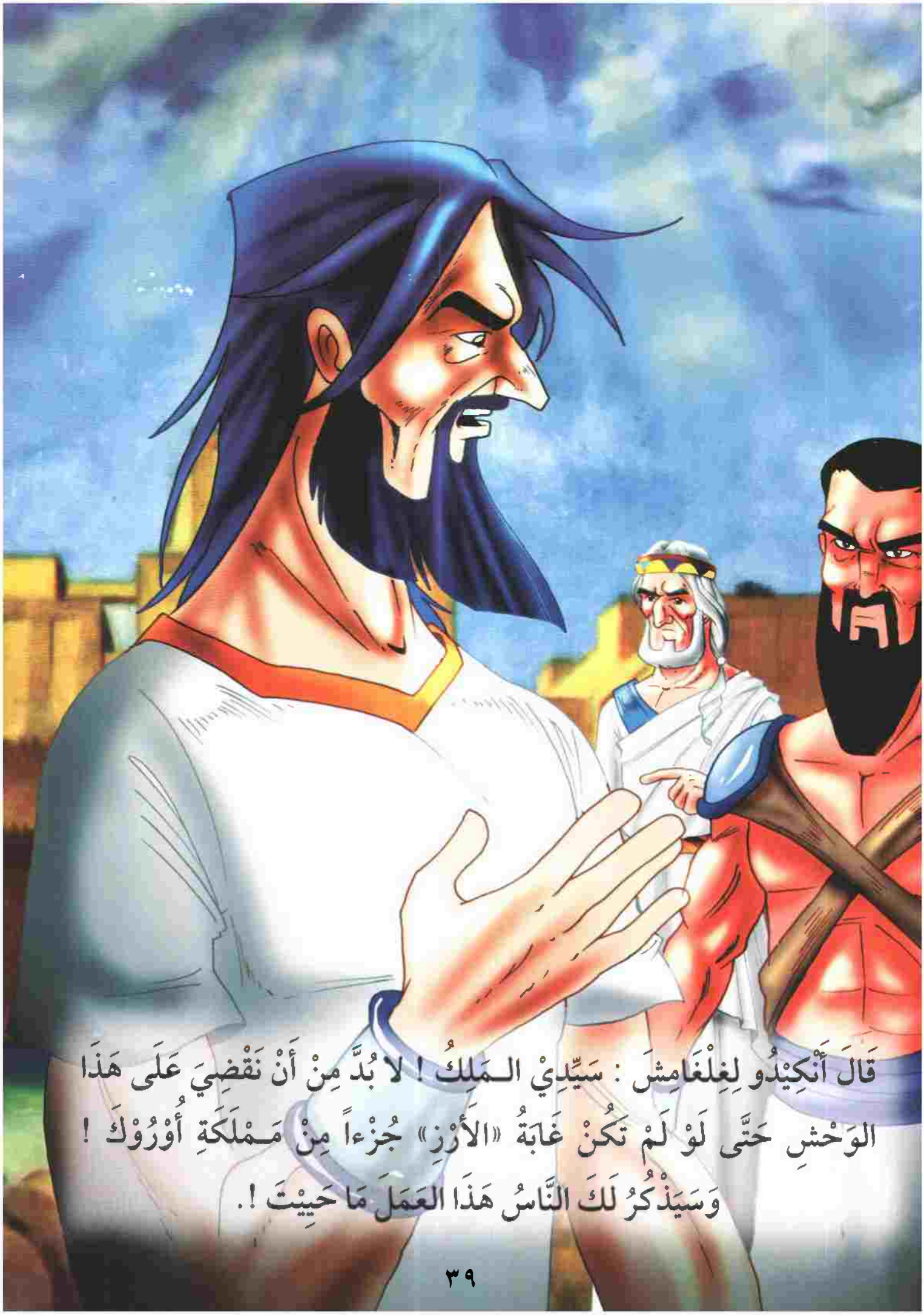

قَالَ أَنْكِيْدُو لِغِلْغَامِشَ : سَيِّدِيْ الـمَلِكُ ! لا بُدَّ مِنْ أَنْ نَقْضِيَ عَلَى هَذَا الوَحْشِ حَتَّى لَوْ لَمْ تَكُنْ غَابَةُ «الأَرْزِ» جُزْءاً مِنْ مَـمْلَكَةِ أُوْرُوْكَ ! وَسَيَذْكُرُ لَكَ النَّاسُ هَذَا العَمَلَ مَا حَيِيْتَ !.

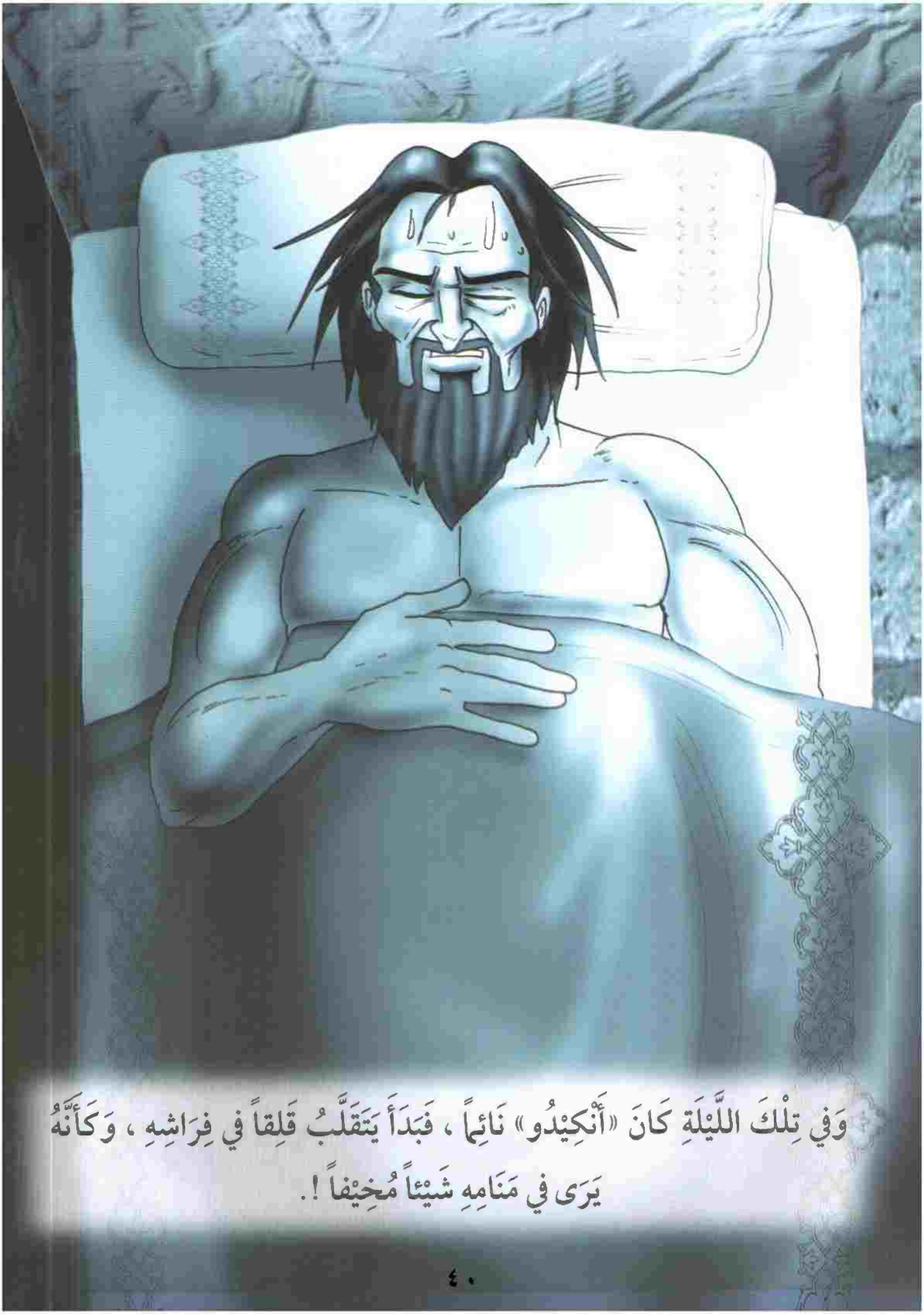

وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ «أَنْكِيْدُو» نَائِماً ، فَبَدَأَ يَتَقَلَّبُ قَلِقاً في فِرَاشِهِ ، وَكَأَنَّهُ يَرَى في مَنَامِهِ شَيْئاً مُخِيْفاً !.

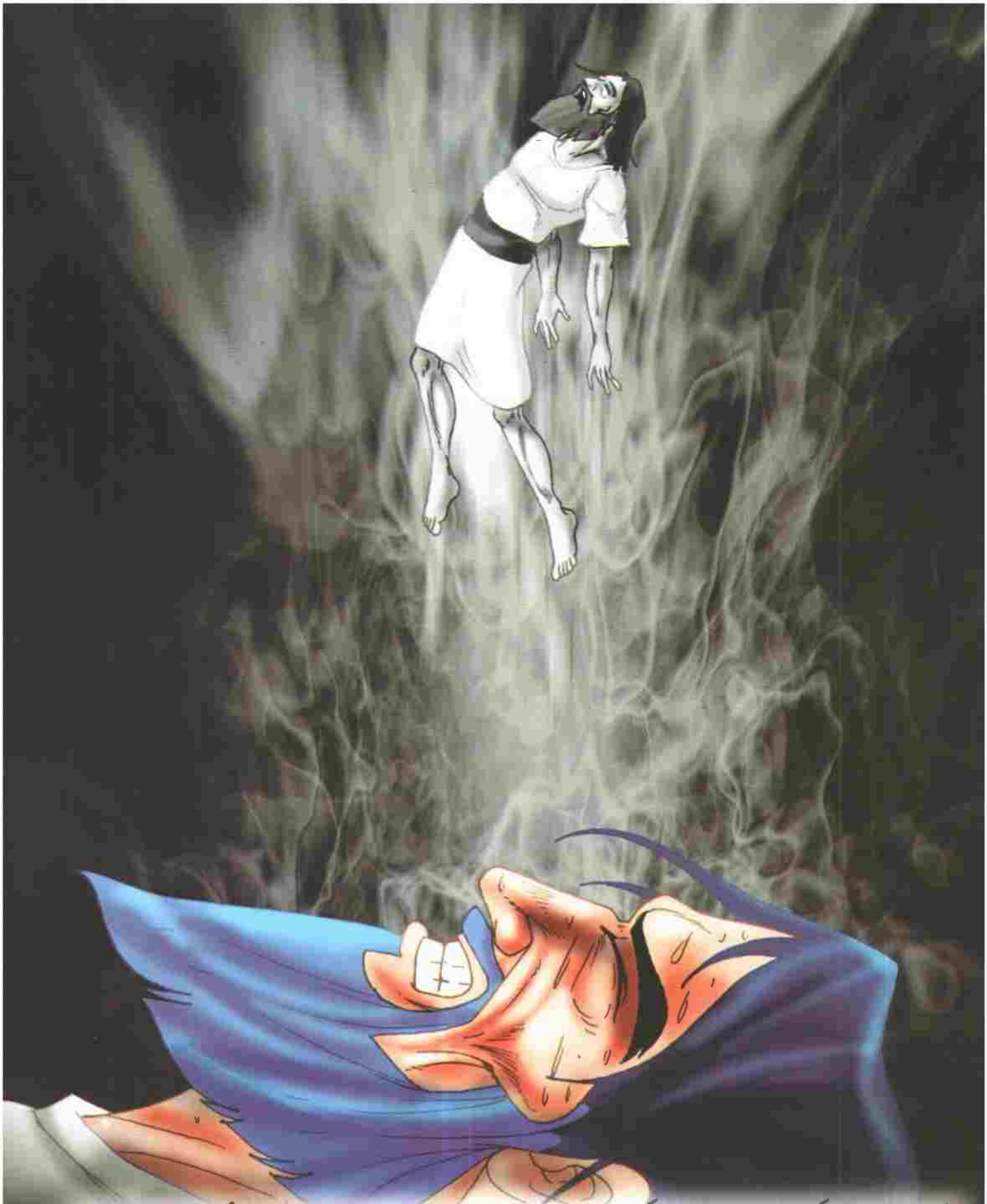

لَقَدْ كَانَ «أَنْكِيْدُو» يَرَى بِأَنَّ مَعْرَكَتَهُمْ هَذِهِ لَنْ تَنْقَضِيَ حَتَّى تَكُونَ رُوْحُهُ قَدْ غَادَرَتْ جَسَدَهُ إِلى غَيْرِ رَجْعَةٍ !.

أَخْبَرَ «أَنْكِيْدُو» غِلْغَامِشَ بِمَنَامِهِ ، فَقَالَ لَهُ غِلْغَامِشُ : إِنْ شِئْتَ يَا عَزِيْزِي ابْقَ أَنْتَ ، وَأَذْهَبُ أَنَا وَحْدِي .. غَيْرَ أَنَّ «أَنْكِيْدُو» رَفَضَ وَأَصَرَّ عَلَى أَنْ يُرَافِقَ غِلْغَامِشَ فِي هَذِهِ الـمُغَامَرَةِ !.

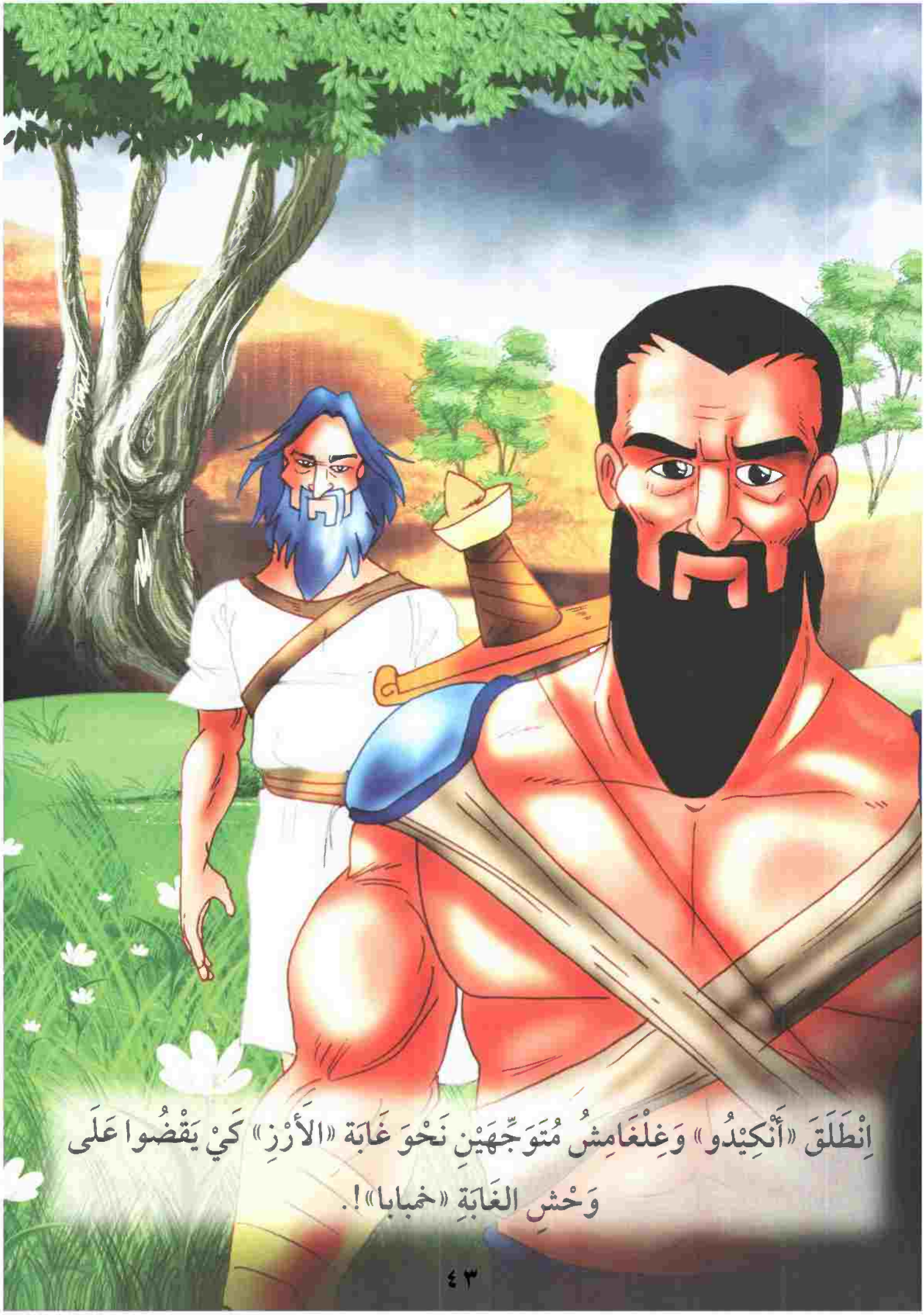

اِنْطَلَقَ «أَنْكِيْدُو» وَغِلْغَامِشُ مُتَوَجِّهَيْنِ نَحْوَ غَابَةِ «الأَرْزِ» كَيْ يَقْضُوا عَلَى وَحْشِ الغَابَةِ «خمبابا»!.

وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلى مَشَارِفِ الغَابَةِ ، قَالَ «أَنْكِيْدُو» : سَيِّدِيْ أَنَا أُفَضِّلُ طَرِيْقَةً لِإِثَارَةِ هَذَا الوَحْشِ ؛ هِيَ قَطْعُ الأَشْجَارِ الَّتِي يَحْرُسُهَا ! وَنُرسِلُ هَذِهِ الأَشْجَارَ الـمَقْطُوْعَةَ عَبْرَ النَّهْرِ إِلى «أُوْرُوْكَ»!.

قَالَ غِلْغَامِشُ : نِعْمَ الرَّأْيُ !..

وَبَدَأَ الاثْنَانِ بِقَطْعِ أَشْجَارِ الغَابَةِ ، ثُمَّ رَمْيِهَا فِي النَّهْرِ ؛ كَيْ تَصِلَ إِلَى الـمَدِيْنَةِ .

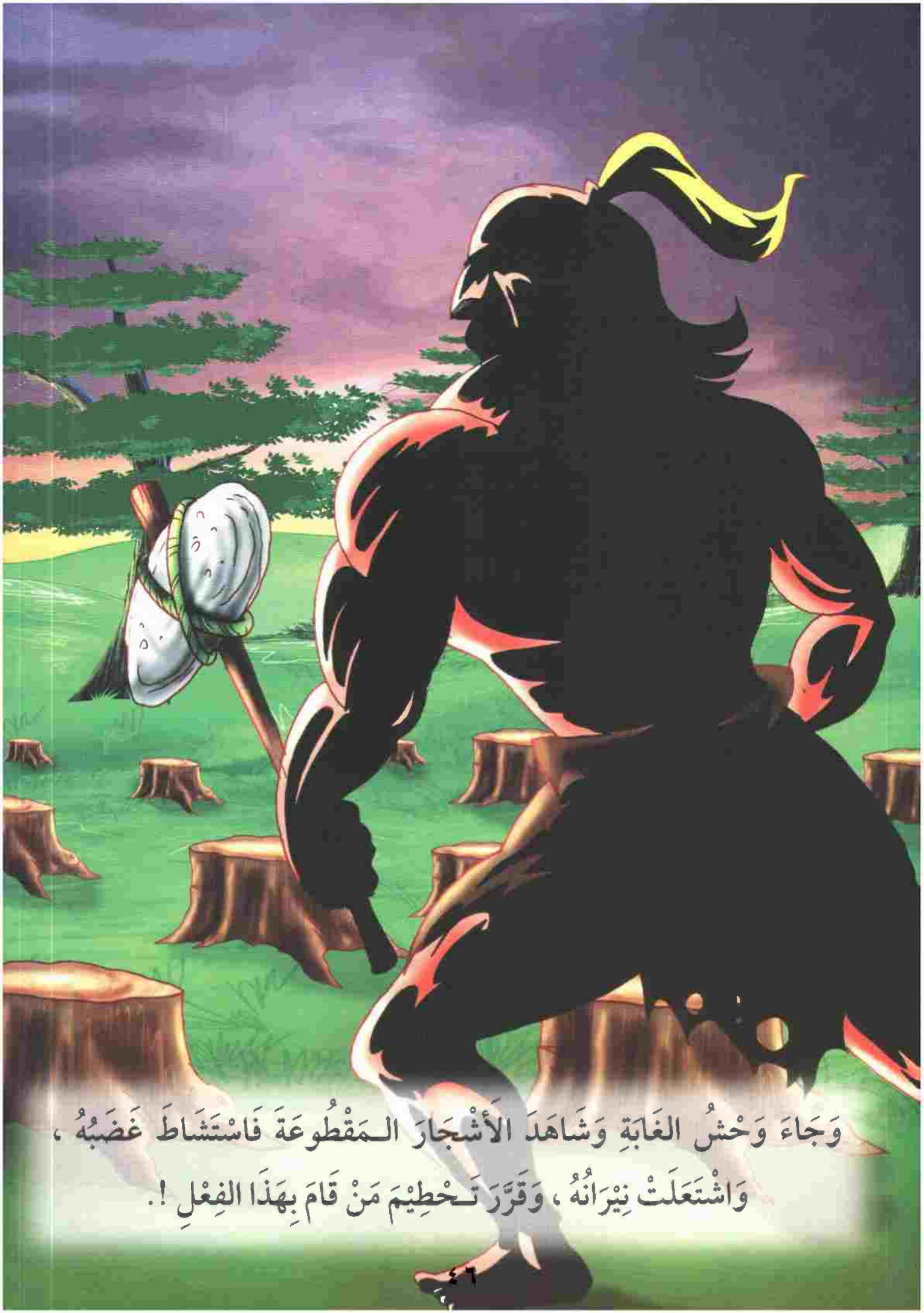

وَجَاءَ وَحْشُ الغَابَةِ وَشَاهَدَ الأَشْجَارَ الـمَقْطُوعَةَ فَاسْتَشَاطَ غَضَبُهُ ، وَاشْتَعَلَتْ نِيرَانُهُ ، وَقَرَّرَ تَـحْطِيمَ مَنْ قَامَ بِهَذَا الفِعْلِ !.

أَسْرَعَ «خمبابا» بَاحِثاً عَنْ غِلْغَامِشَ وَأَنْكِيْدُو، وَمَا أَنِ الْتَقَاهُمْا، حَتَّى صَرَخَ بِوَجْهِهِمْا صَرْخَةً مُدَوِّيَةً هَزَّتْ أَرْكَانَ الجِبَالِ فِي غَابَةِ «الأَرْزِ»!.

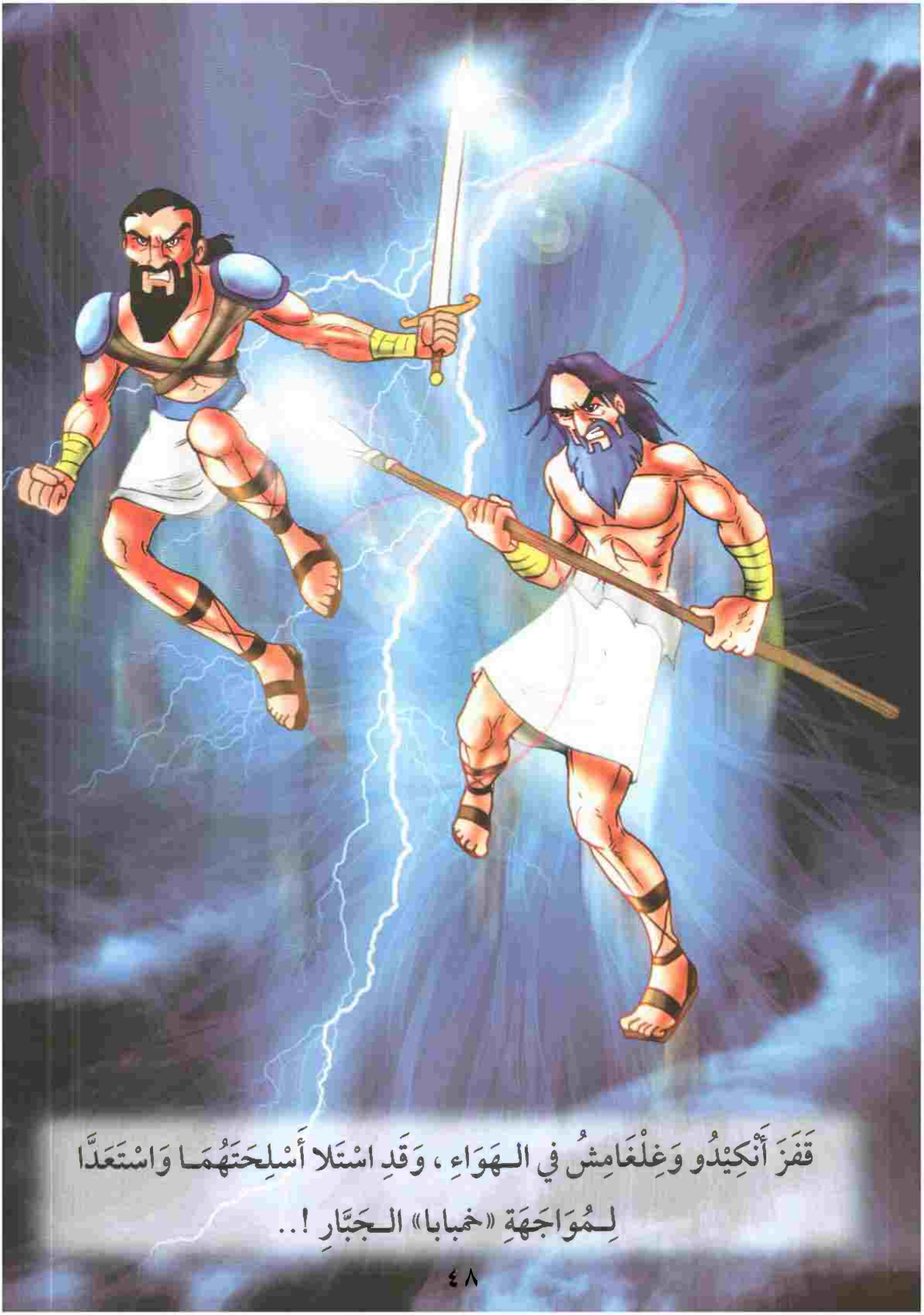

قَفَزَ أَنْكِيْدُو وَغِلْغَامِشُ فِي الـهَوَاءِ ، وَقَدِ اسْتَلا أَسْلِحَتَهُمَـا وَاسْتَعَدَّا لِـمُوَاجَهَةِ «خمبابا» الـجَبَّارِ !..

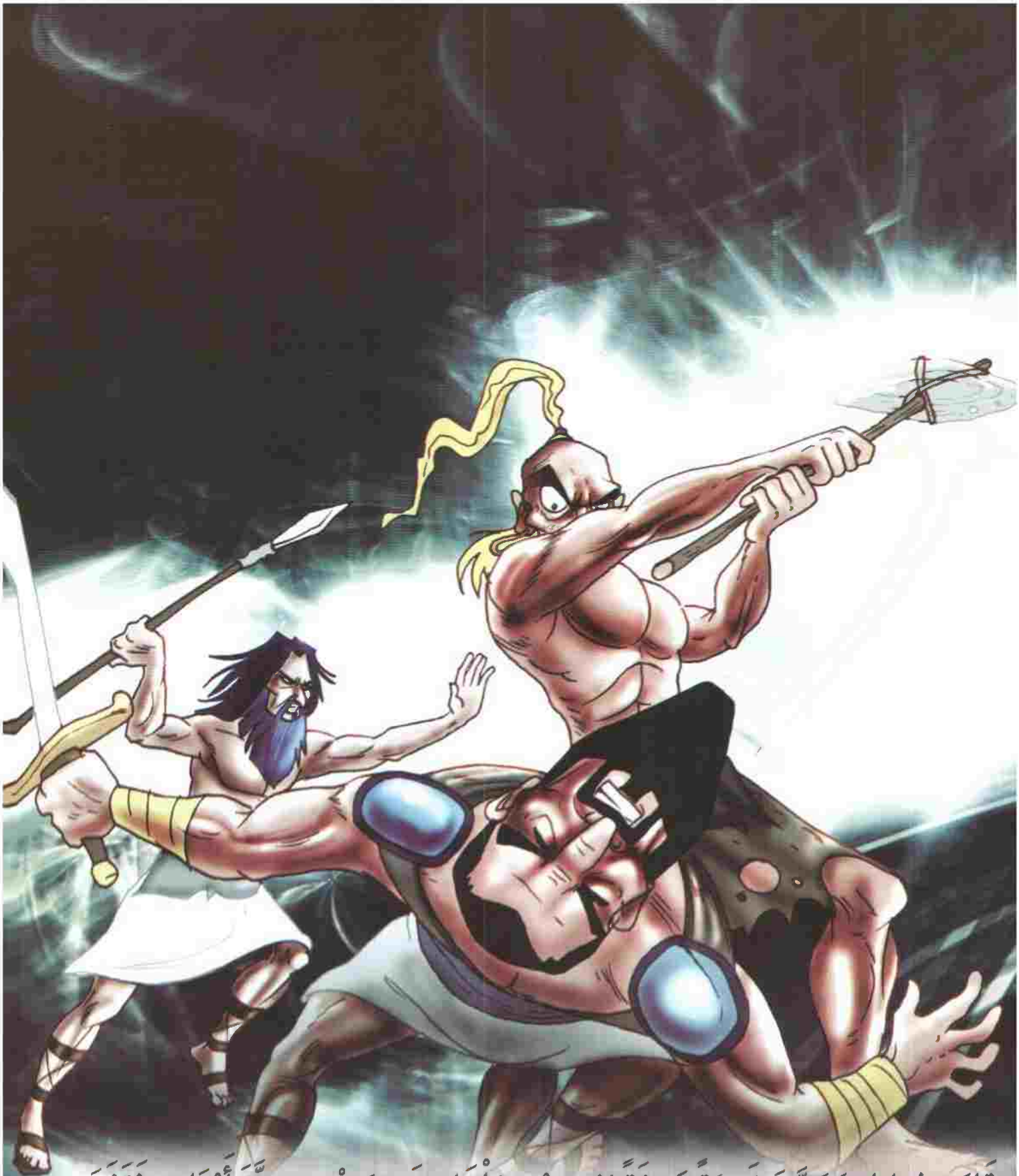

قَامَ «خمبابا» وَوَجَّهَ ضَرْبَةً عَنِيفَةً إِلى وجْهِ غِلْغَامِشَ رَمَتْ بِهِ عِدَّةَ أَمْتَارٍ ، فَقَفَزَ «أَنْكِيْدُو» عَلَى «خمبابا» وَهُوَ يَضْرِبُهُ بِرُمْحِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُؤَثِّرَ أَدْنَى تَأْثِيرٍ بِهَذَا الوَحْشِ الضَّارِي !.

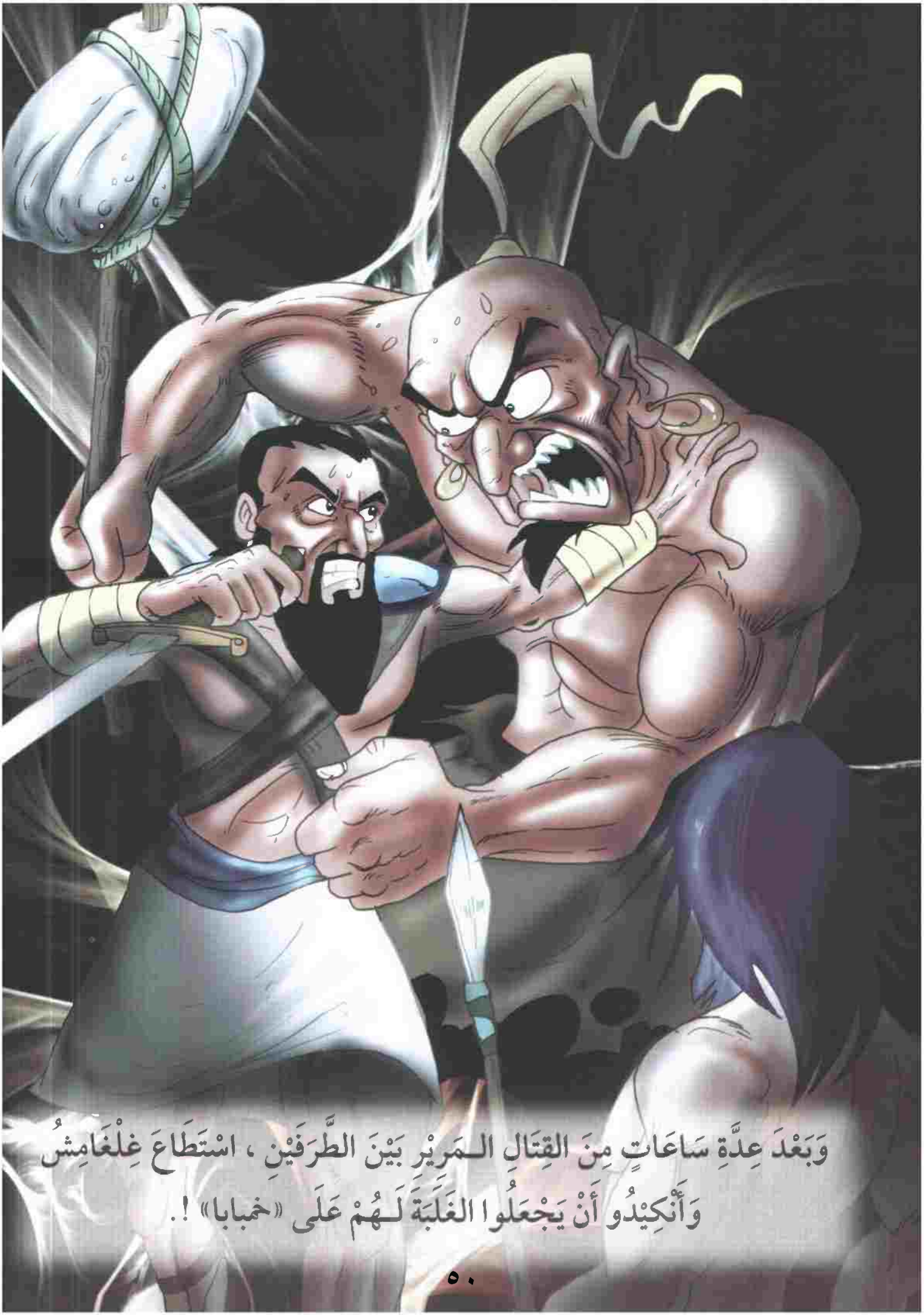

وَبَعْدَ عِدَّةِ سَاعَاتٍ مِنَ القِتَالِ الـمَرِيْرِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ، اسْتَطَاعَ غِلْغَامِشُ وَأَنْكِيْدُو أَنْ يَجْعَلُوا الغَلَبَةَ لَـهُمْ عَلَى «خمبابا» !.

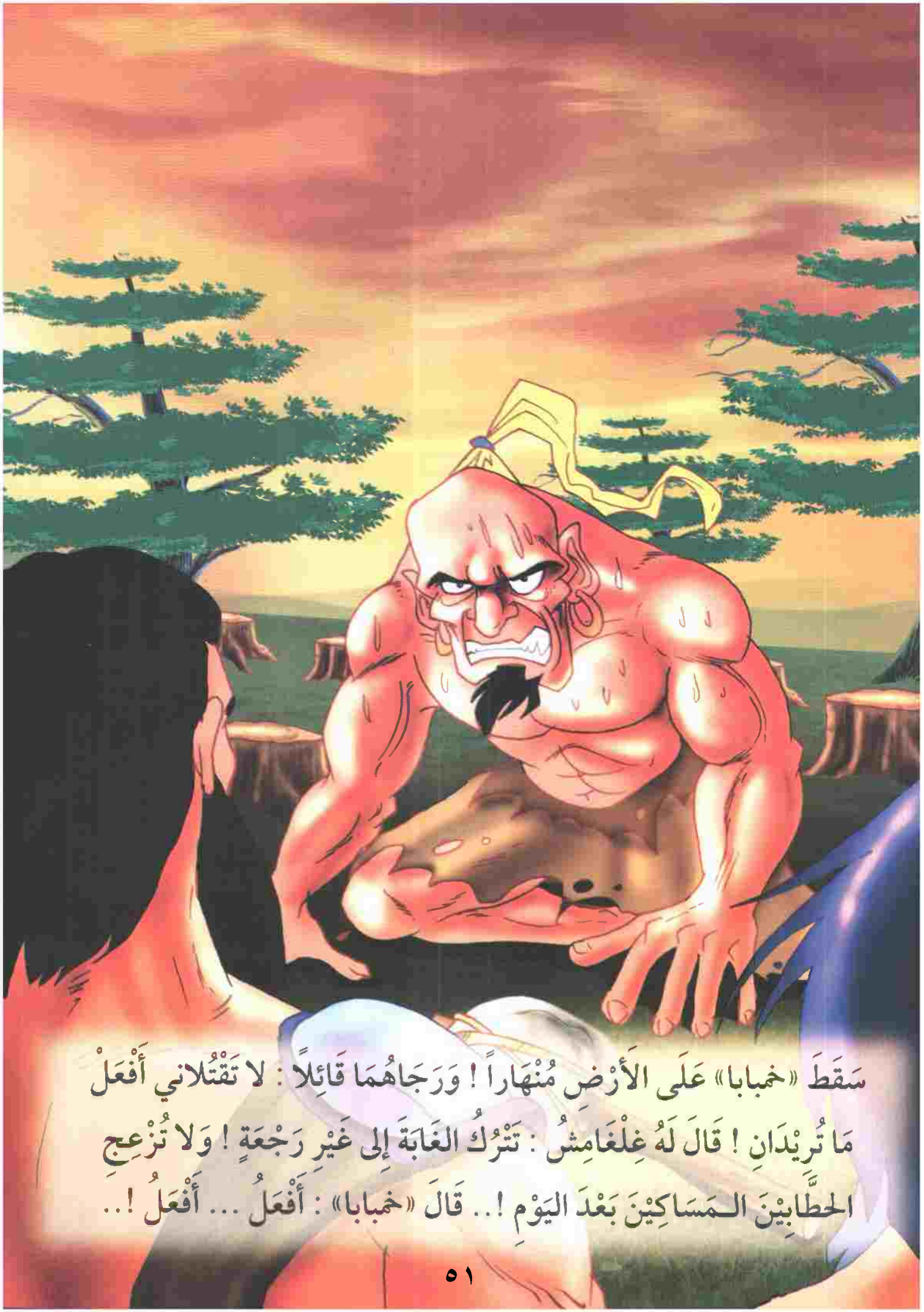

سَقَطَ «خمبابا» عَلَى الأَرْضِ مُنْهَاراً ! وَرَجَاهُمَا قَائِلاً : لا تَقْتُلاني أَفْعَلْ مَا تُرِيْدَانِ ! قَالَ لَهُ غِلْغَامِشُ : تَتْرُكُ الغَابَةَ إِلى غَيْرِ رَجْعَةٍ ! وَلا تُزْعِجِ الحطَّابِيْنَ الـمَسَاكِيْنَ بَعْدَ اليَوْمِ !.. قَالَ «خمبابا» : أَفْعَلُ ... أَفْعَلُ !..

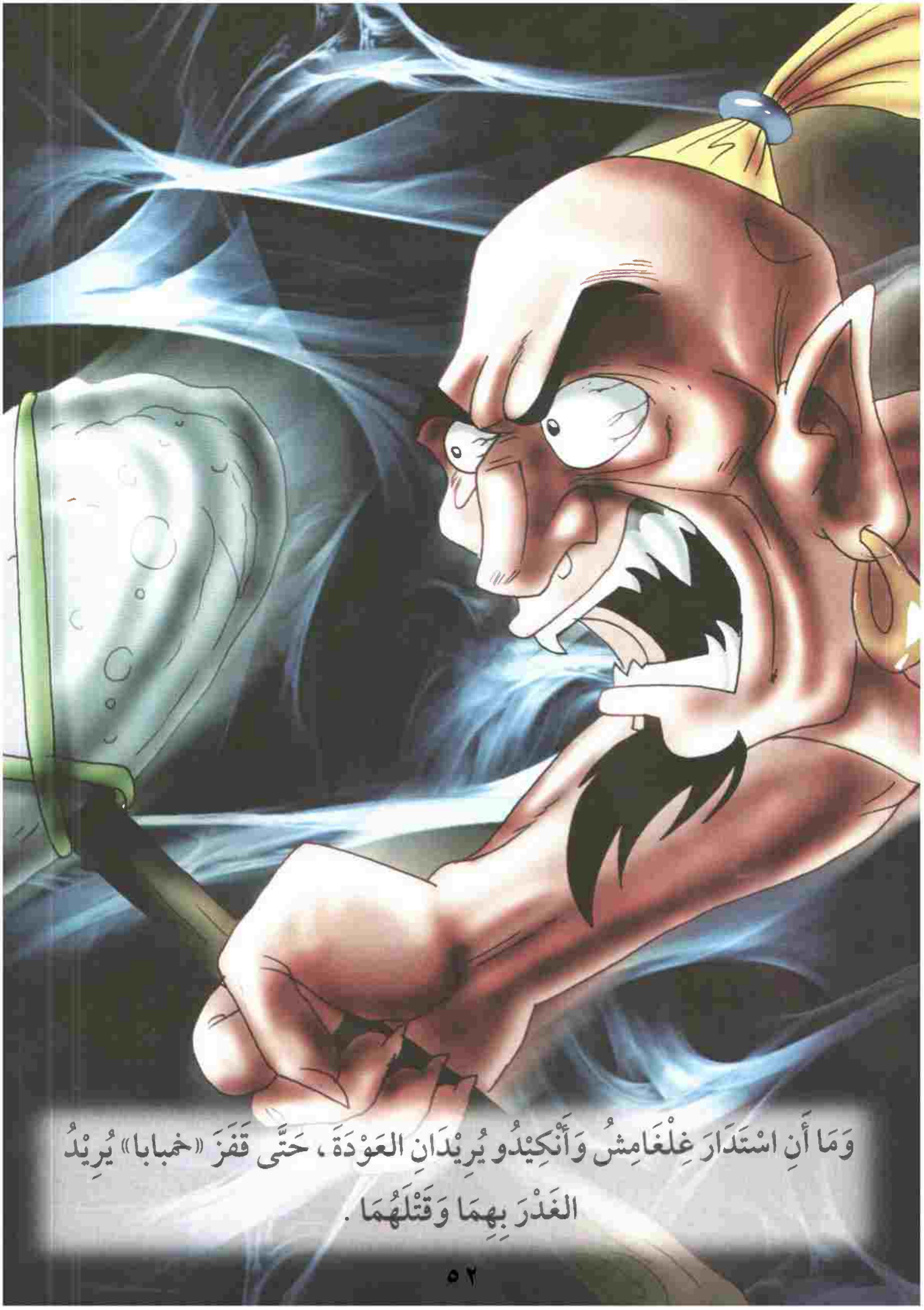

وَمَا أَنِ اسْتَدَارَ غِلْغَامِشُ وَأَنْكِيْدُو يُرِيْدَانِ العَوْدَةَ ، حَتَّى قَفَزَ «خمبابا» يُرِيْدُ الغَدْرَ بِهِمَا وَقَتْلَهُمَا .

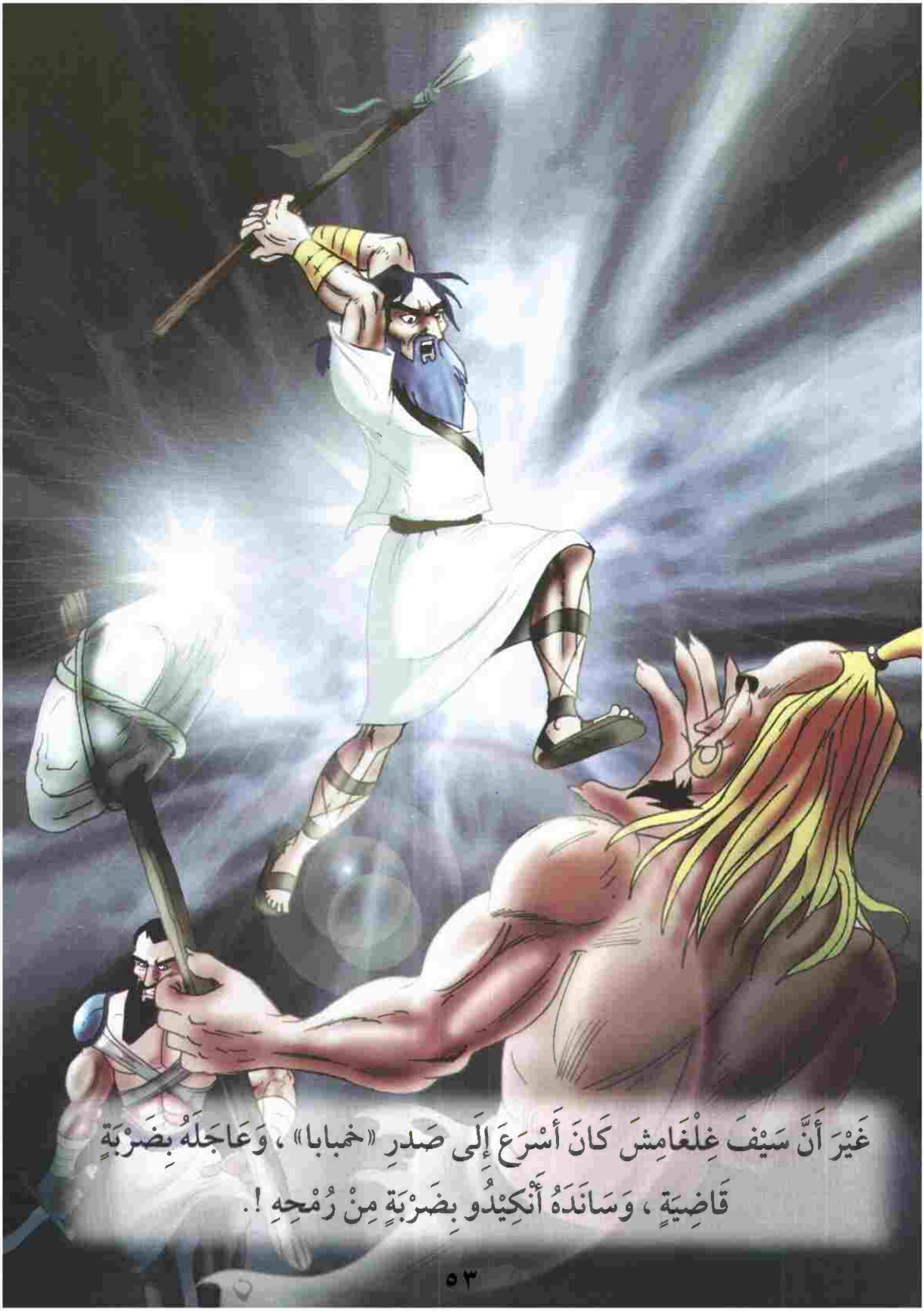

غَيْرَ أَنَّ سَيْفَ غِلْغَامِشَ كَانَ أَسْرَعَ إِلَى صَدرِ «خمبابا»، وَعَاجَلَهُ بِضَرْبَةٍ قَاضِيَةٍ، وَسَانَدَهُ أَنْكِيْدُو بِضَرْبَةٍ مِنْ رُمْحِهِ!.

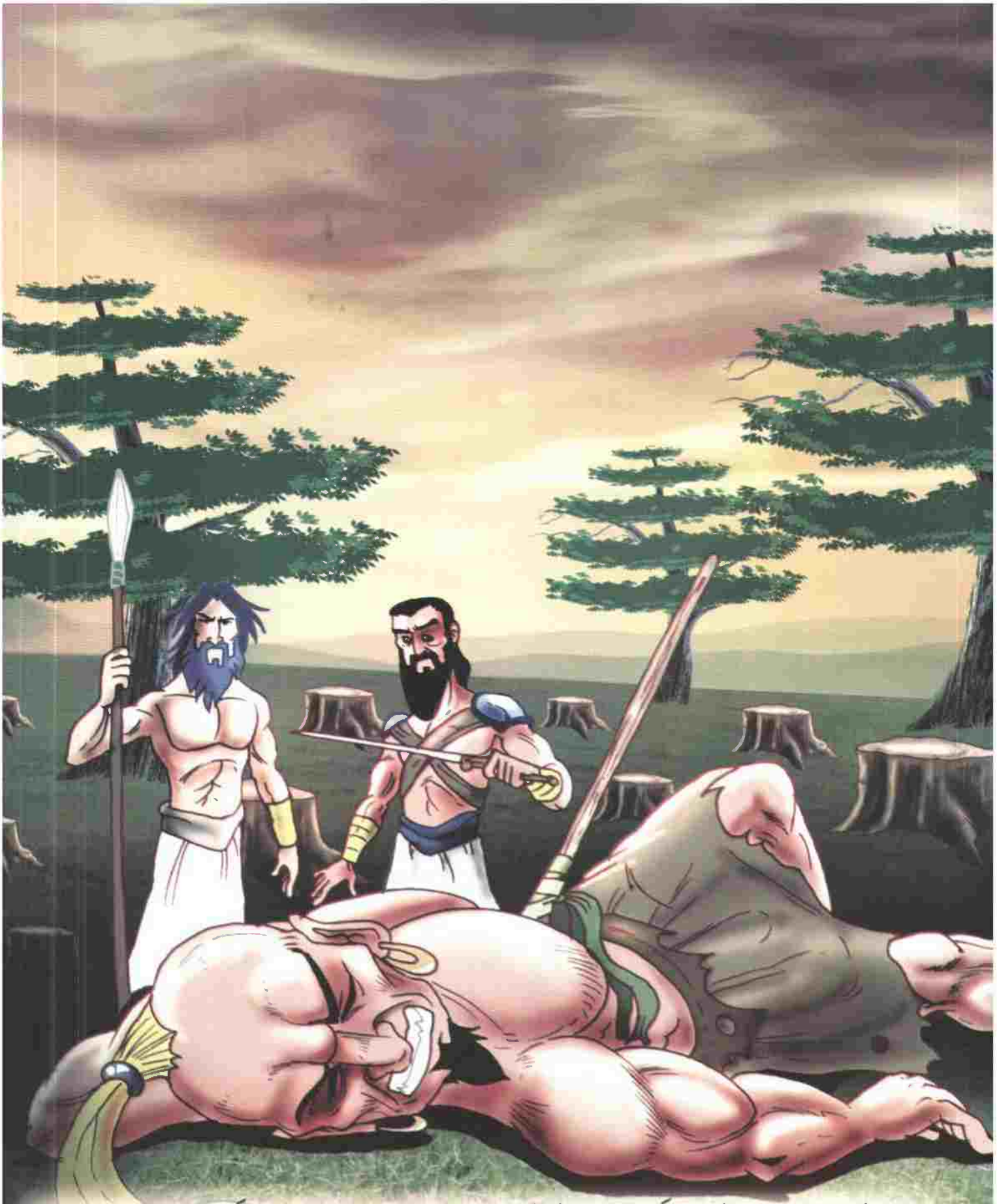

فَسَقَطَ «خمبابا» عَلَى الأَرْضِ جُثَّـةً هَامِدَةً ! وَاسْتَرَاحَ الـحَطَّابُوْنَ الـمَسَاكِيْن مِنْ شَرِّ هَذَا الوَحْشِ إِلى الأَبَدِ !.

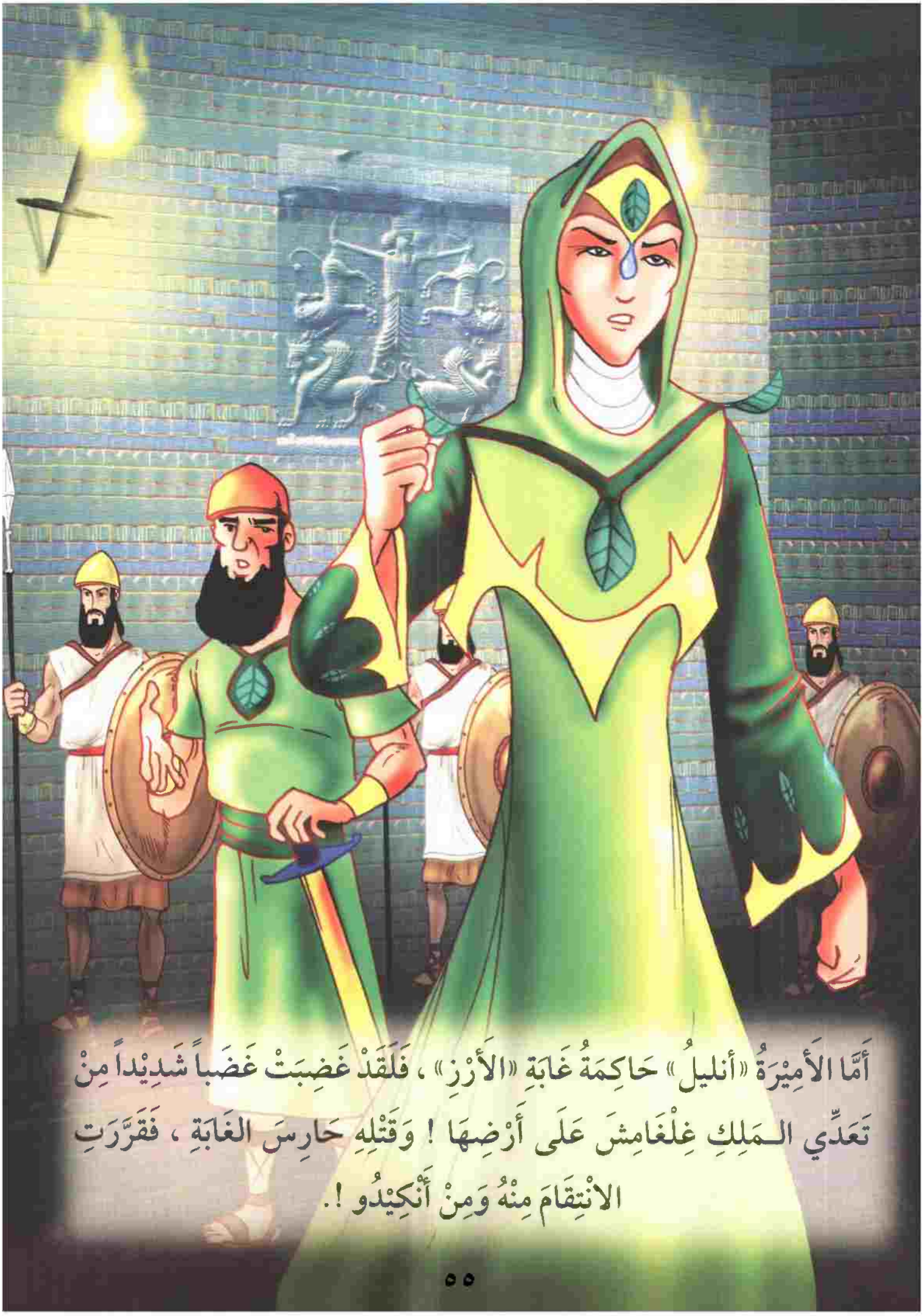

أَمَّا الأَمِيْرَةُ «أنليلُ» حَاكِمَةُ غَابَةِ «الأَرْزِ» ، فَلَقَدْ غَضِبَتْ غَضَباً شَدِيْداً مِنْ تَعَدِّي الـمَلِكِ غِلْغَامِشَ عَلَى أَرْضِهَا ! وَقَتْلِهِ حَارِسَ الغَابَةِ ، فَقَرَّرَتِ الانْتِقَامَ مِنْهُ وَمِنْ أَنْكِيْدُو !.

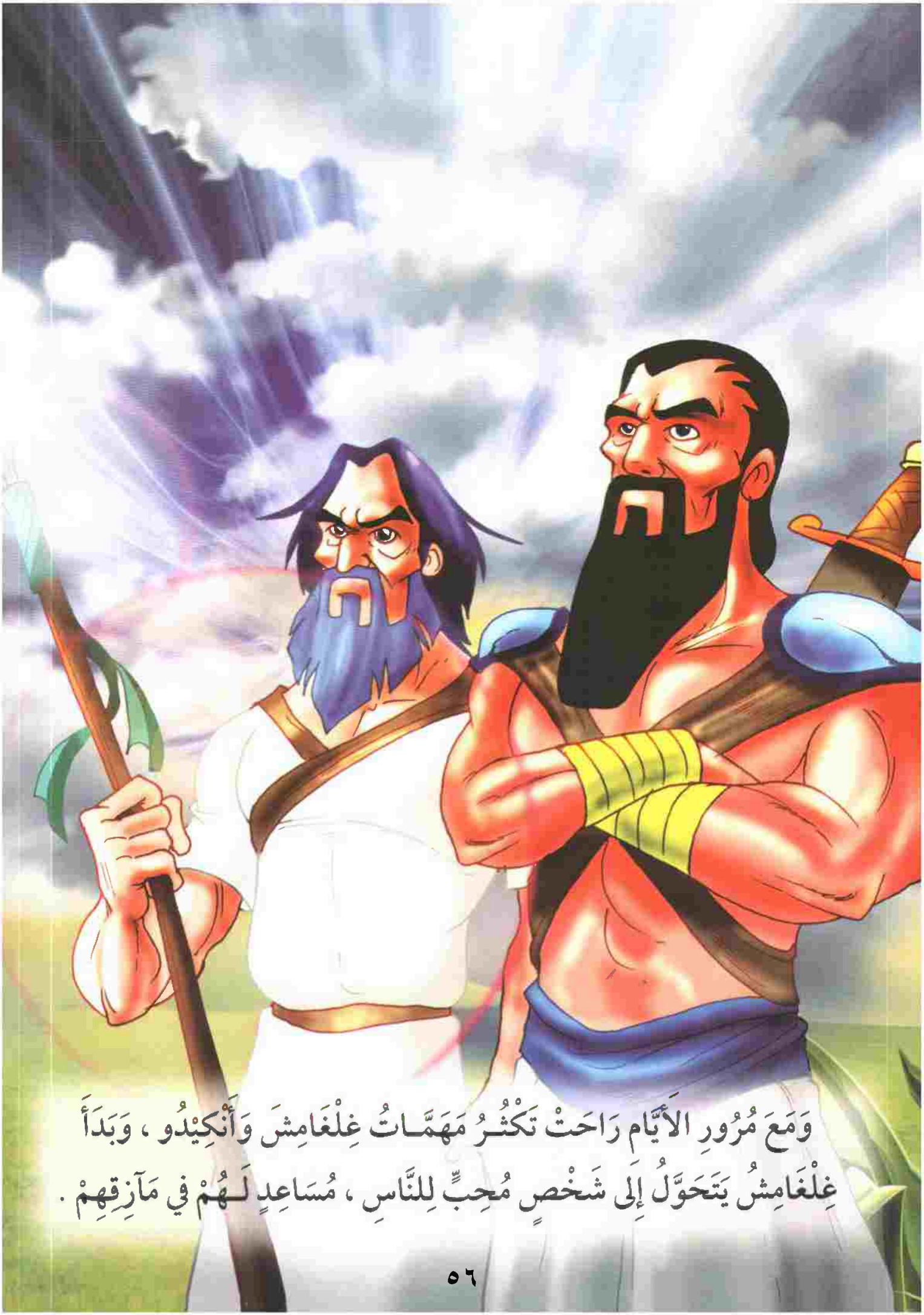

وَمَعَ مُرُورِ الأَيَّام رَاحَتْ تَكْثُرُ مَهَمَّـاتُ غِلْغَامِشَ وَأَنْكِيْدُو ، وَبَدَأَ غِلْغَامِشُ يَتَحَوَّلُ إِلَى شَخْصٍ مُحِبٍّ لِلنَّاسِ ، مُسَاعِدٍ لَـهُمْ فِي مَآزِقِهِمْ .

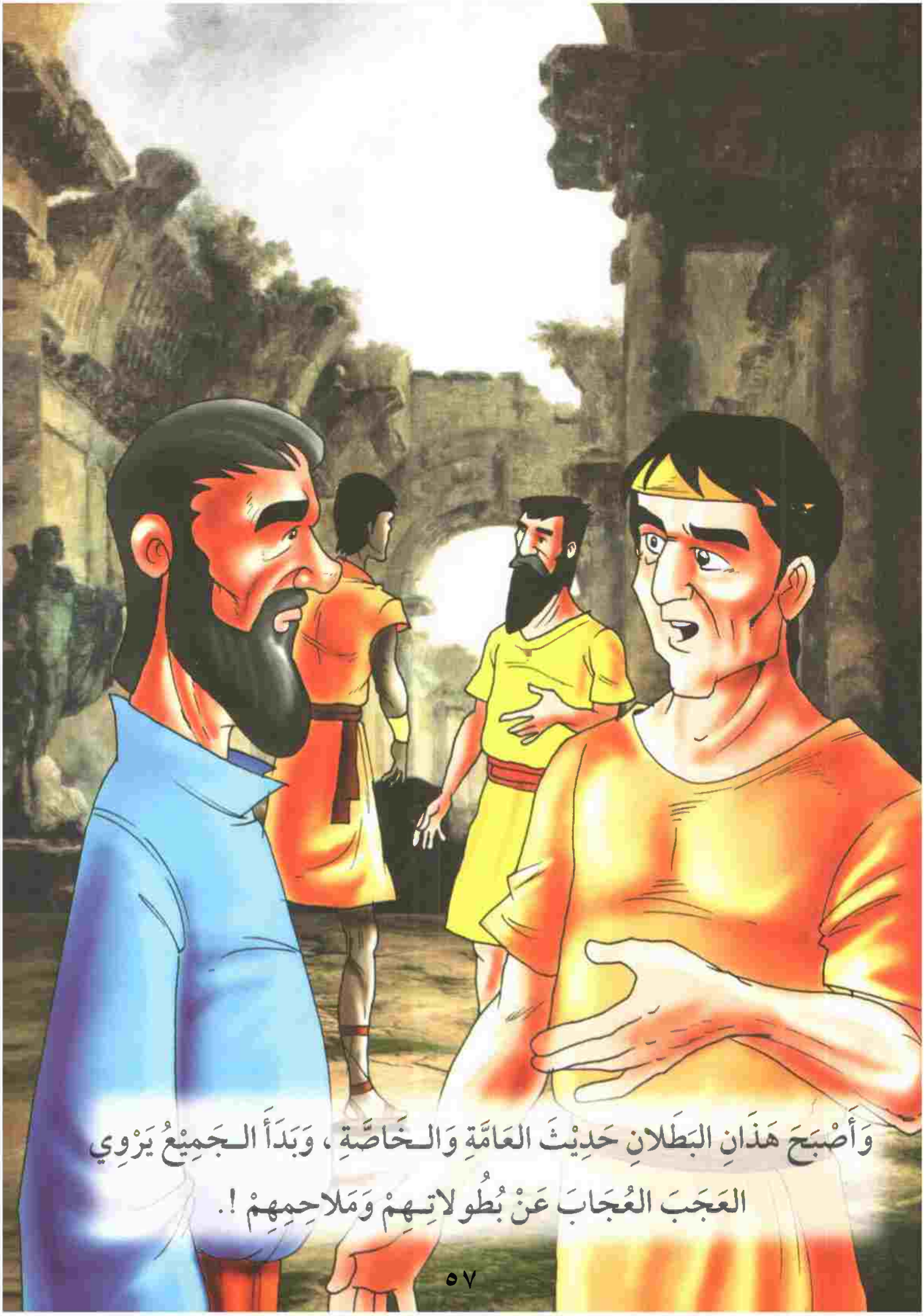

وَأَصْبَحَ هَذَانِ البَطَلانِ حَدِيْثَ العَامَّةِ وَالـخَاصَّةِ ، وَبَدَأَ الـجَمِيْعُ يَرْوِي العَجَبَ العُجَابَ عَنْ بُطُولاتِـهِمْ وَمَلاحِمِهِمْ !.

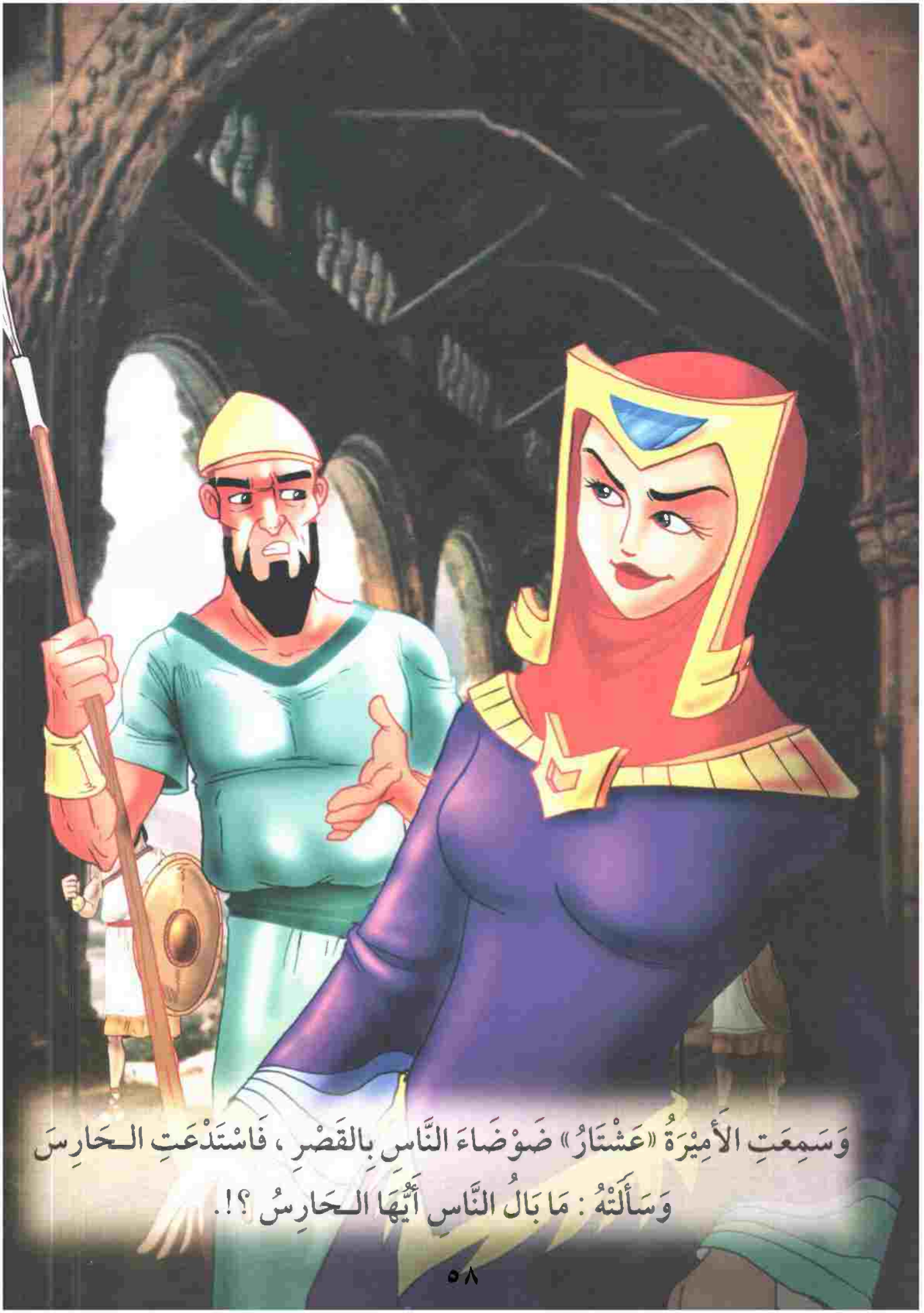

وَسَمِعَتِ الأَمِيْرَةُ «عَشْتَارُ» ضَوْضَاءَ النَّاسِ بِالقَصْرِ ، فَاسْتَدْعَتِ الحَارِسَ وَسَأَلَتْهُ : مَا بَالُ النَّاسِ أَيُّهَا الحَارِسُ ؟!.

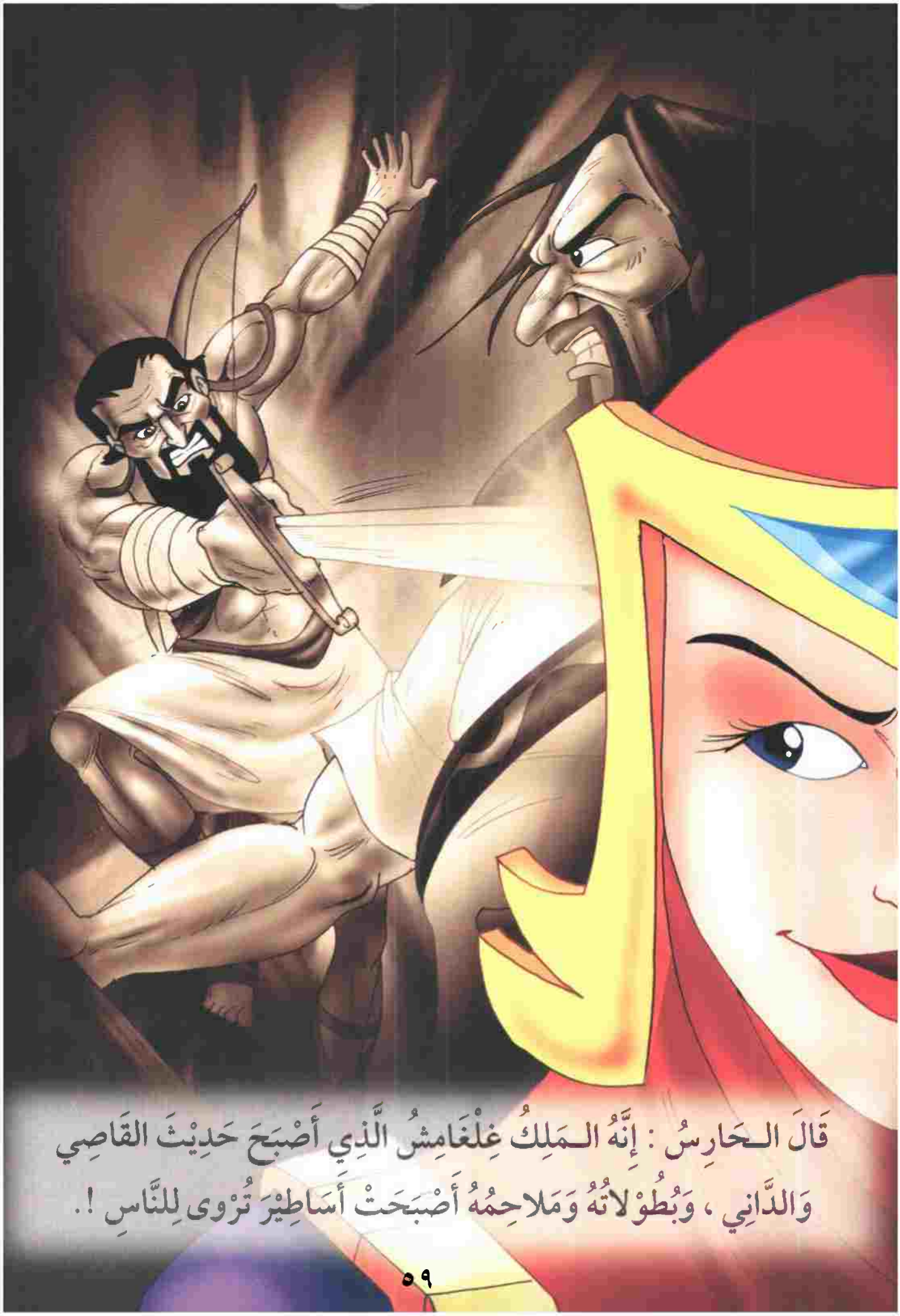

قَالَ الـحَارِسُ : إِنَّهُ الـمَلِكُ غِلْغَامِشُ الَّذِي أَصْبَحَ حَدِيْثَ القَاصِي وَالدَّانِي ، وَبُطُوْلاتُهُ وَمَلاحِمُهُ أَصْبَحَتْ أَسَاطِيْرَ تُرْوى لِلنَّاسِ !.

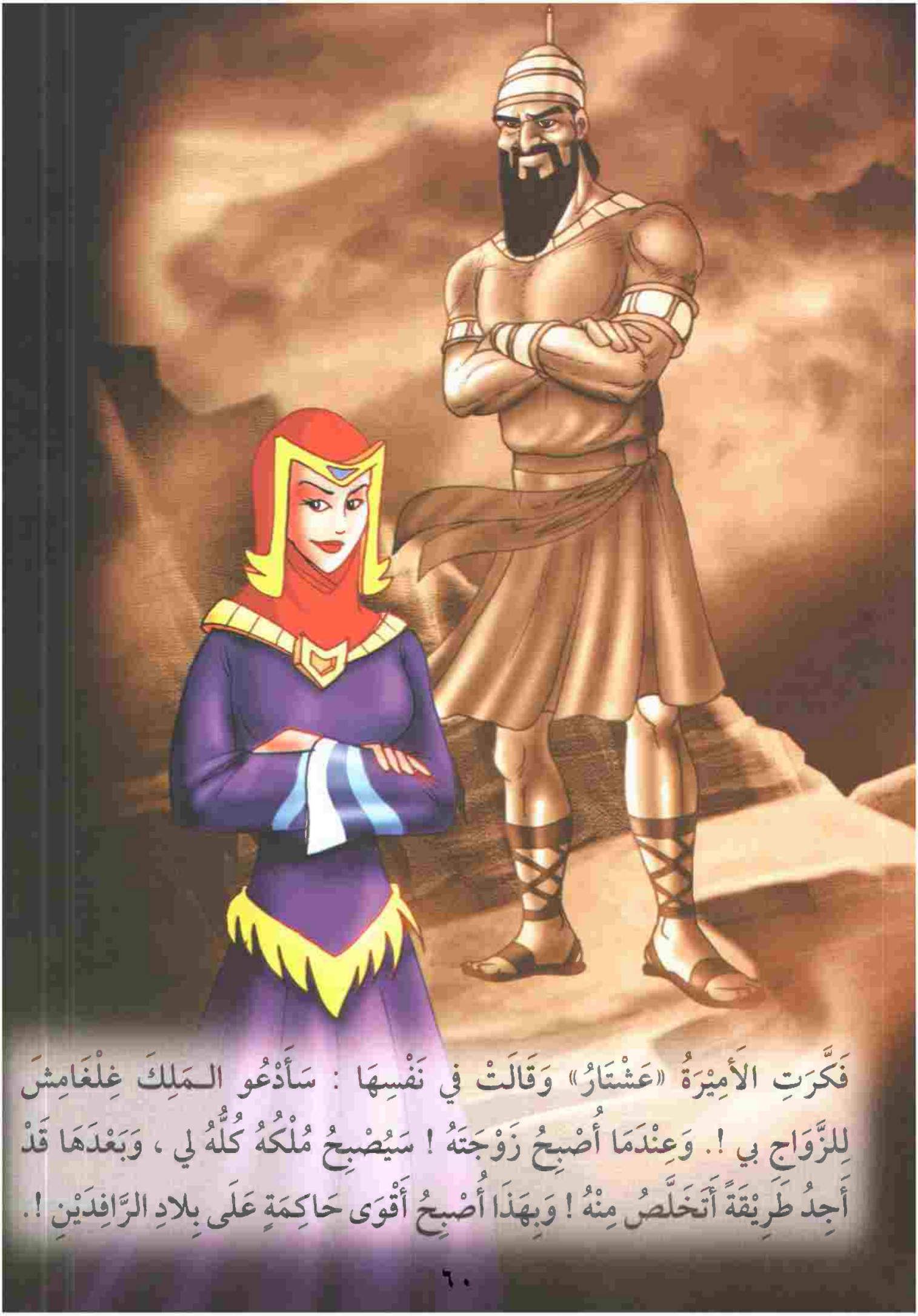

فَكَّرَتِ الأَمِيْرَةُ «عَشْتَارُ» وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : سَأَدْعُو الـمَلِكَ غِلْغَامِشَ لِلزَّوَاجِ بِي !. وَعِنْدَمَا أُصْبِحُ زَوْجَتَهُ ! سَيُصْبِحُ مُلْكُهُ كُلُّهُ لِي ، وَبَعْدَهَا قَدْ أَجِدُ طَرِيْقَةً أَتَخَلَّصُ مِنْهُ ! وَبِهَذَا أُصْبِحُ أَقْوَى حَاكِمَةٍ عَلَى بِلادِ الرَّافِدَيْنِ !.

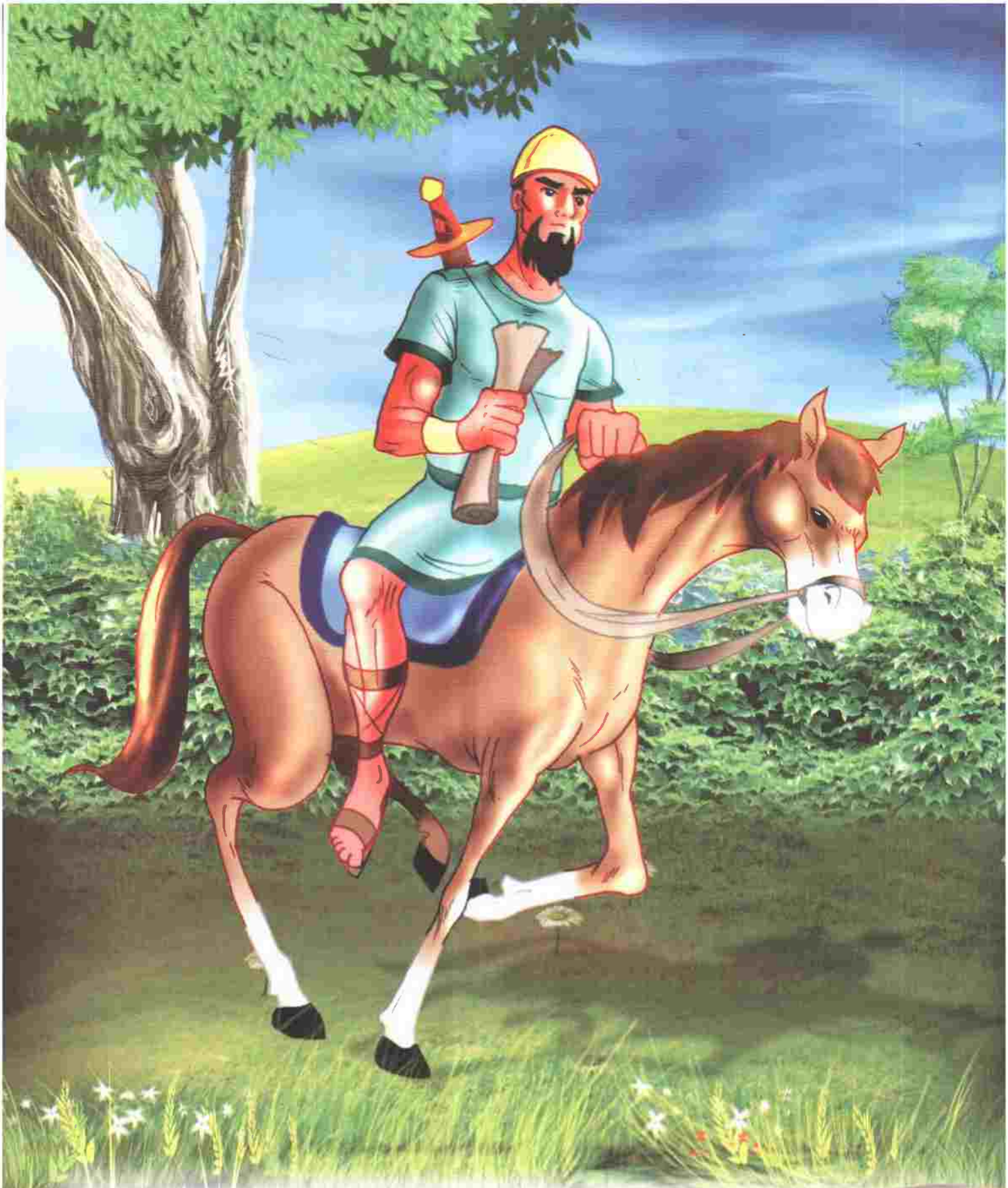

وَبِالفِعْلِ أَرْسَلَتْ «عَشْتَارُ» حَاجِبَهَا إِلَى غِلْغَامِشَ بِرِسَالَةٍ ، تَتَحَدَّثُ بِهَا «عَشْتَارُ» عَنْ طَلَبِهَا الزَّوَاجَ مِنْ غِلْغَامِشَ ، وَضَمِّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى مَمْلَكَتِهَا !.

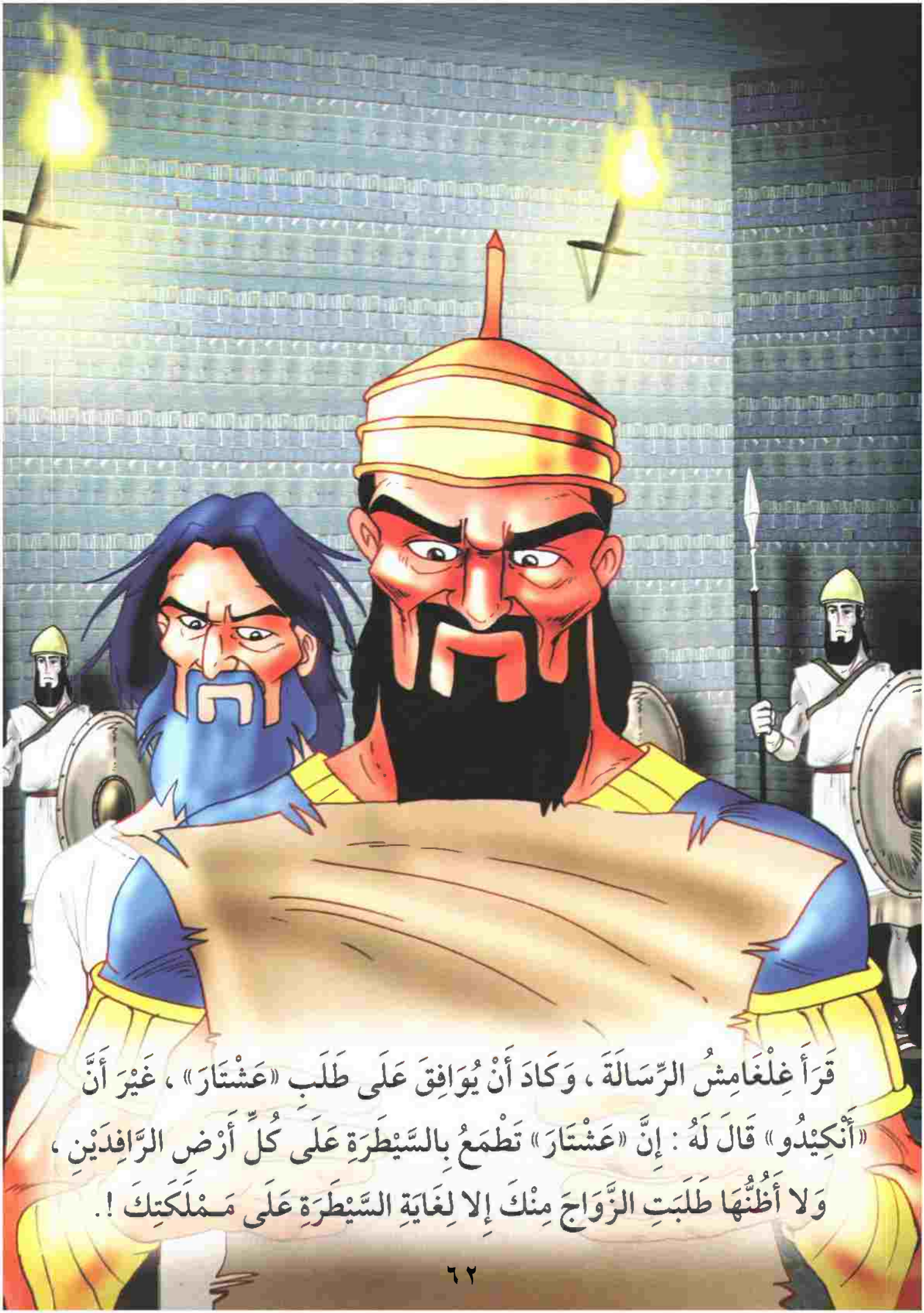

قَرَأَ غِلْغَامِشُ الرِّسَالَةَ ، وَكَادَ أَنْ يُوَافِقَ عَلَى طَلَبِ «عَشْتَارَ» ، غَيْرَ أَنَّ «أَنْكِيْدُو» قَالَ لَهُ : إِنَّ «عَشْتَارَ» تَطْمَعُ بِالسَّيْطَرَةِ عَلَى كُلِّ أَرْضِ الرَّافِدَيْنِ ، وَلا أَظُنُّهَا طَلَبَتِ الزَّوَاجَ مِنْكَ إِلا لِغَايَةِ السَّيْطَرَةِ عَلَى مَمْلَكَتِكَ !.

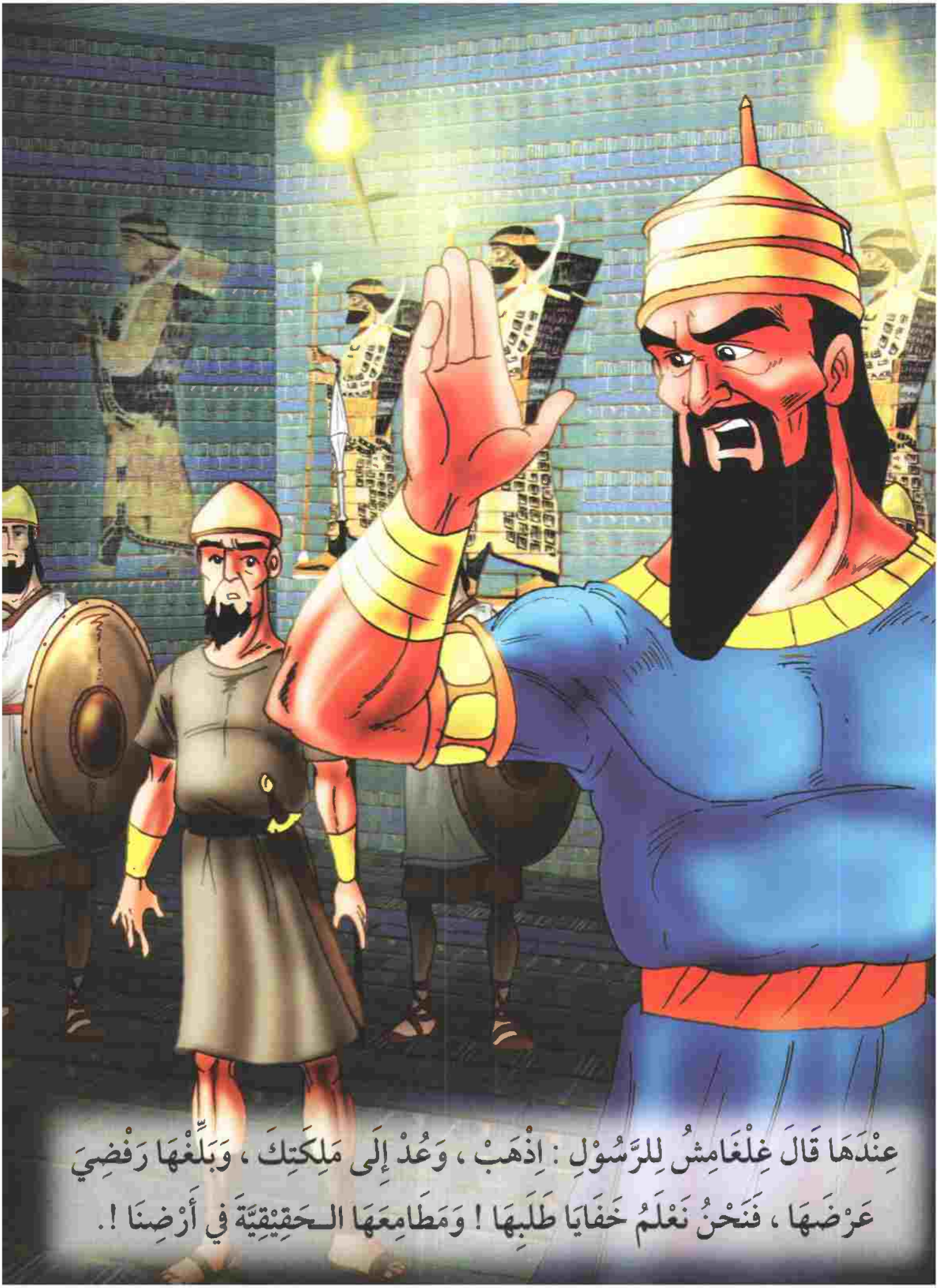
عِنْدَهَا قَالَ غِلْغَامِشُ لِلرَّسُوْلِ : اِذْهَبْ ، وَعُدْ إِلَى مَلِكَتِكَ ، وَبَلِّغْهَا رَفْضِيَ
عَرْضَهَا ، فَنَحْنُ نَعْلَمُ خَفَايَا طَلَبِهَا ! وَمَطَامِعَهَا الـحَقِيْقِيَّةَ فِي أَرْضِنَا !.

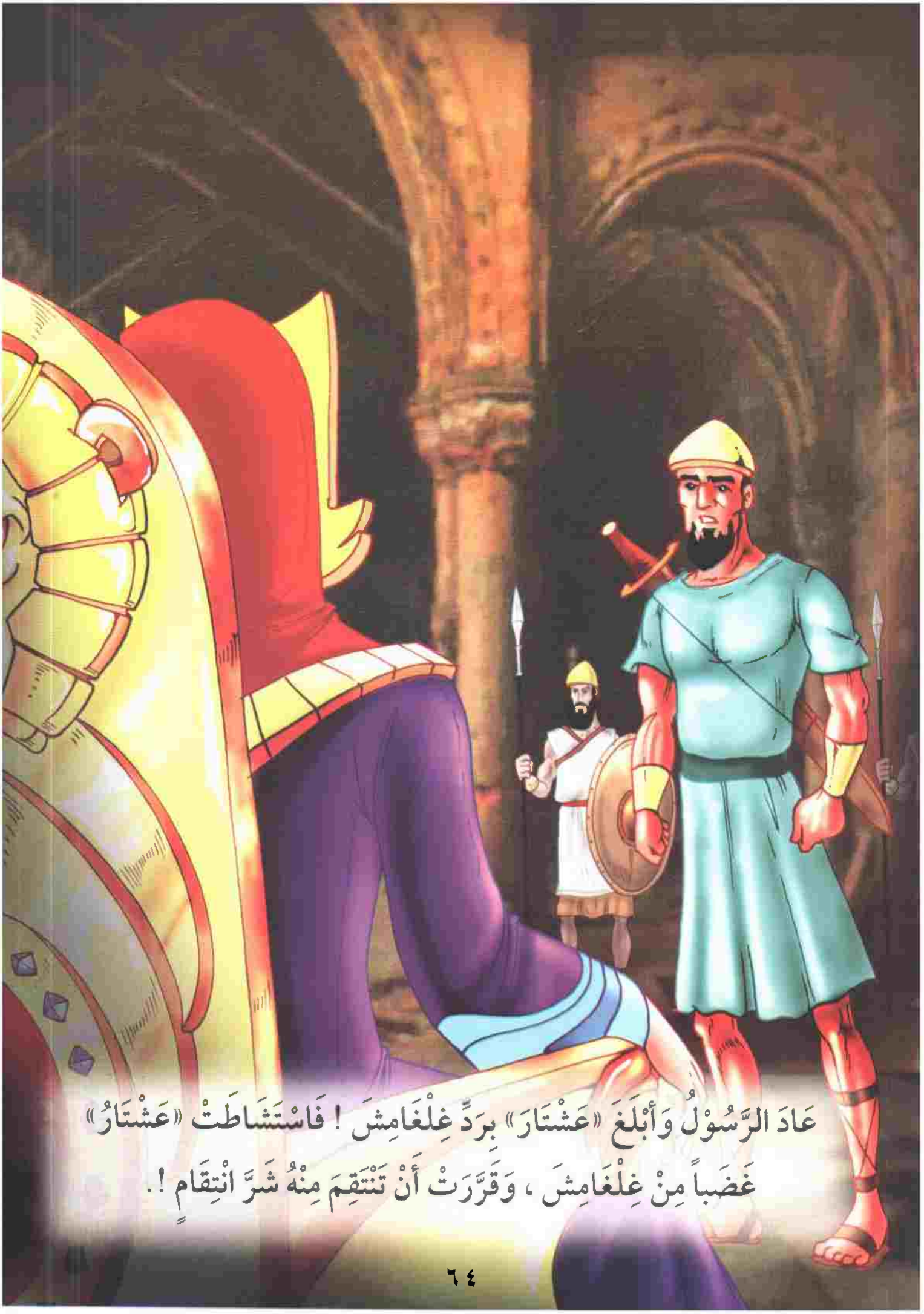

عَادَ الرَّسُوْلُ وَأبْلَغَ «عَشْتَارَ» بِرَدِّ غِلْغَامِشَ ! فَاسْتَشَاطَتْ «عَشْتَارُ» غَضَباً مِنْ غِلْغَامِشَ ، وَقَرَّرَتْ أَنْ تَنْتَقِمَ مِنْهُ شَرَّ انْتِقَامٍ !.

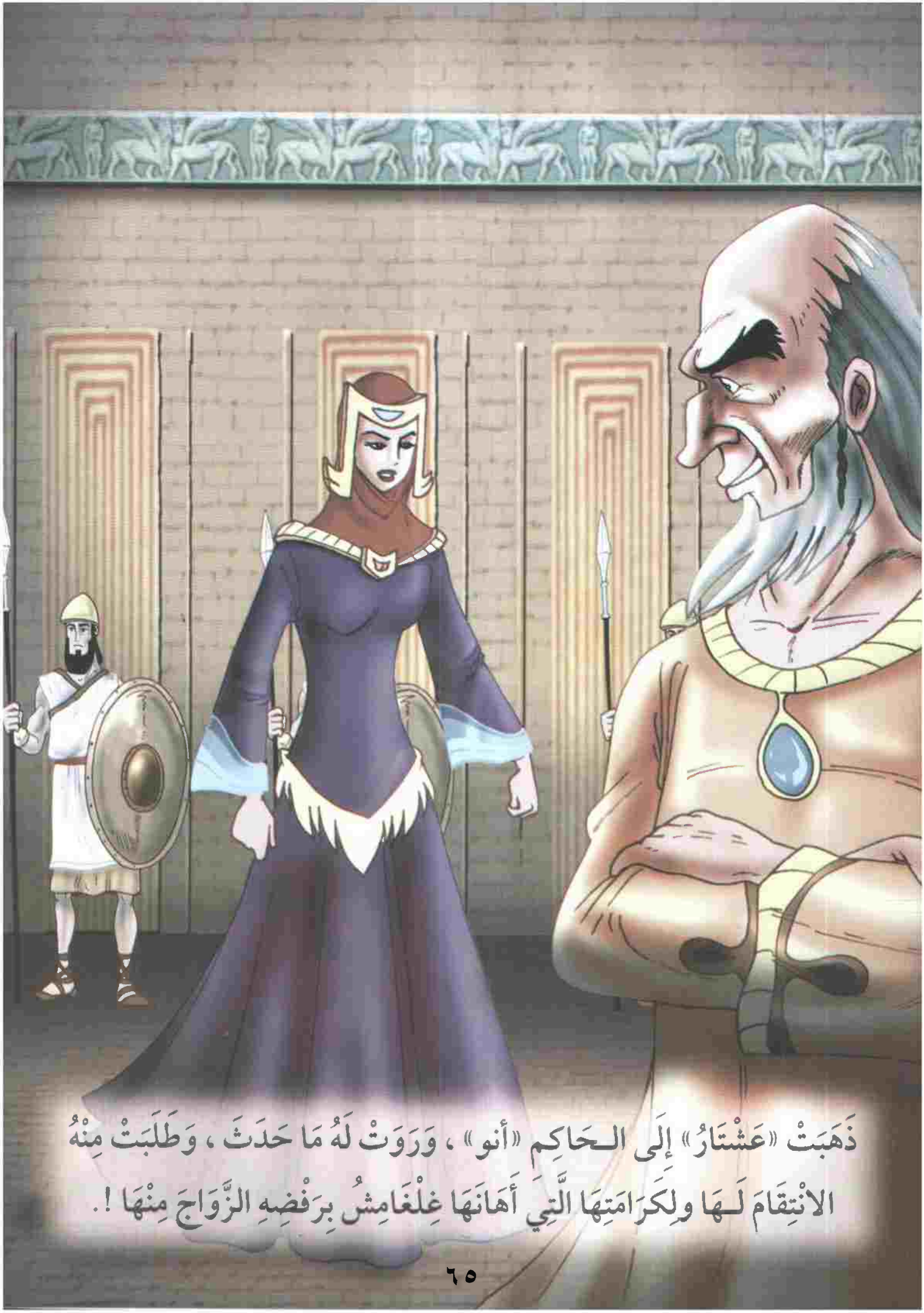

ذَهَبَتْ «عَشْتَارُ» إِلَى الـحَاكِمِ «أنو» ، وَرَوَتْ لَهُ مَا حَدَثَ ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ الانْتِقَامَ لَـهَا ولِكَرَامَتِهَا الَّتِي أَهَانَهَا غِلْغَامِشُ بِرَفْضِهِ الزَّوَاجَ مِنْهَا !.

اِسْتَجَابَ «أنو» لِطَلَبِ «عَشْتَارَ» وَأَرْسَلَ إِلَى «أُوْرُوْكَ» ثَوْراً عَظِيْماً مُتَوَحِّشاً !؛ لِيُدَمِّرَ النَّاسَ وَالأَرْضَ وَالـحَرْثَ !.

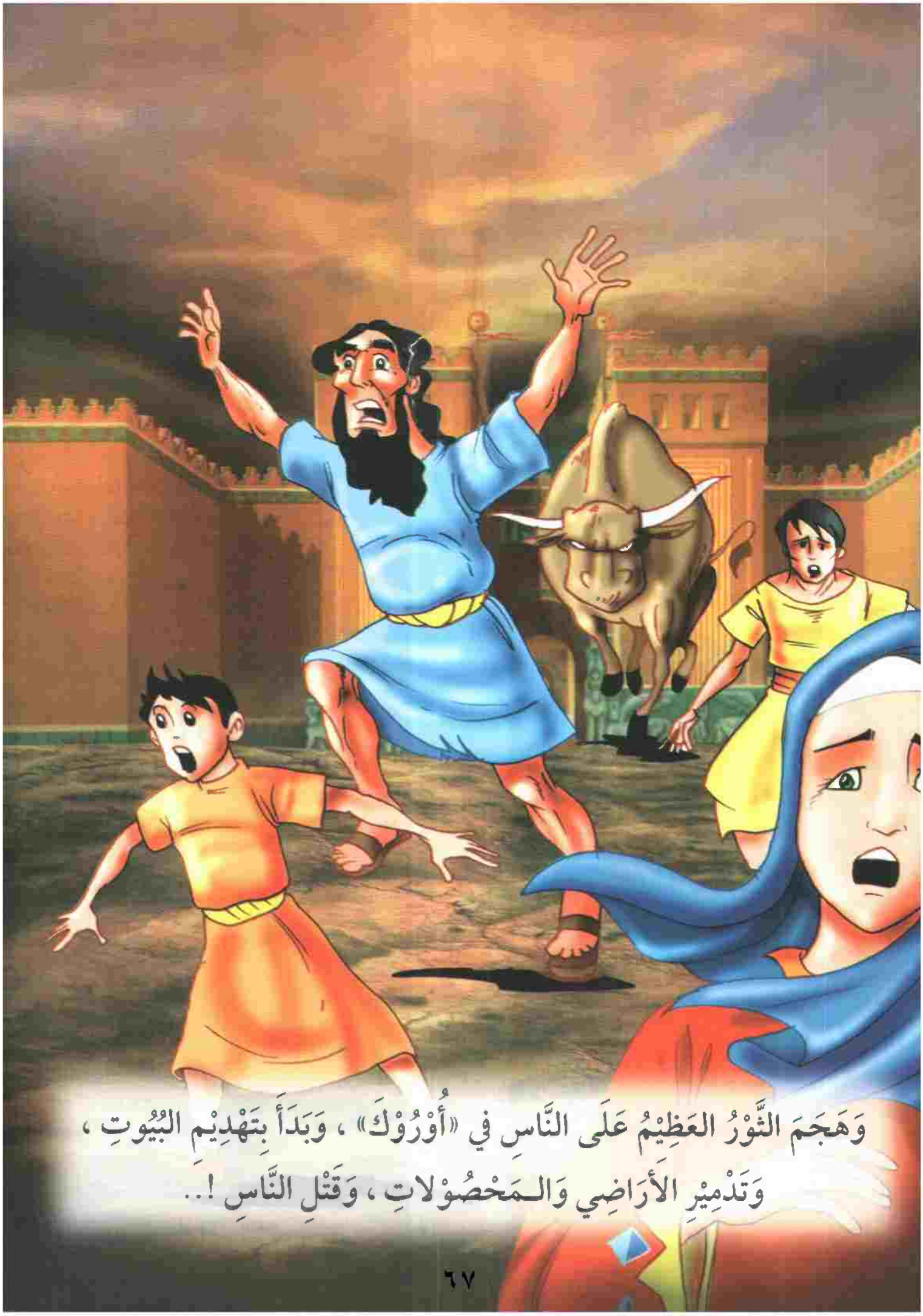

وَهَجَمَ الثَّوْرُ العَظِيْمُ عَلَى النَّاسِ فِي «أُوْرُوْكَ» ، وَبَدَأَ بِتَهْدِيْمِ البُيُوتِ ، وَتَدْمِيْرِ الأَرَاضِي وَالـمَحْصُوْلاتِ ، وَقَتْلِ النَّاسِ !..

وَعَلَى الفَوْرِ انْطَلَقَ غِلْغَامِشُ وَأَنْكِيْدُو ، وَقَدْ جَهَّزَا نَفْسَيْهِمَا لِـهَذِهِ الـمَعْرَكَةِ القَاسِيَةِ !.

وَفورَ الْتِقَائِهِمْ قَفَزَ أَنْكِيْدُو عَلَى قَرْنَي الوَحْشِ العَظِيْم وَتَعَلَّقَ بِهِمـا ، مُعِيْقاً لِـحَرَكَتِهِ ، فَبَدَأَ الوَحْشُ يَتَخَبَّطُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ! مُحَاوِلاً نَزْعَ أَنْكِيْدُو عَنْ قَرْنَيْهِ !.

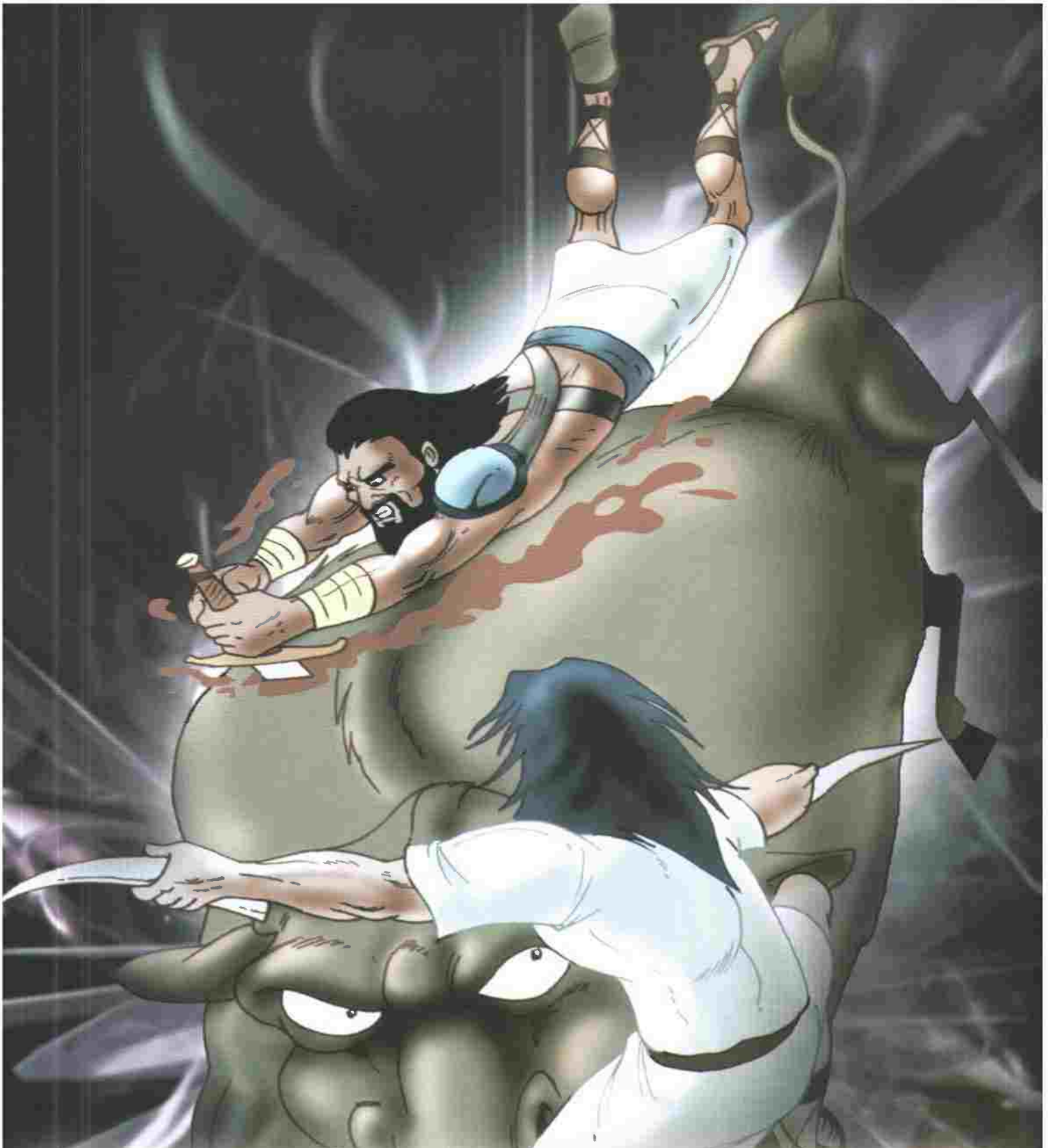

وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَطِيْعَ الوَحْشُ إِبْعَادَ أَنْكِيْدُو عَنْ قَرْنَيْهِ ! كَانَ غِلْغَامِشُ قَدْ قَفَزَ عَلَى الوَحْشِ بِكُلِّ قُوَّتِهِ ، وَعَاجَلَهُ بِعِدَّةِ طَعْنَاتٍ مُـمِيْتَةٍ ، أَرْدَتْ هَذَا الوَحْشَ العَظِيْمَ قَتِيْلاً !.. وَاحْتَفَلَ جَمِيْعُ أَهَالِي «أُوْرُوْكَ» بِهَذَا النَّصْرِ العَظِيْمِ !.

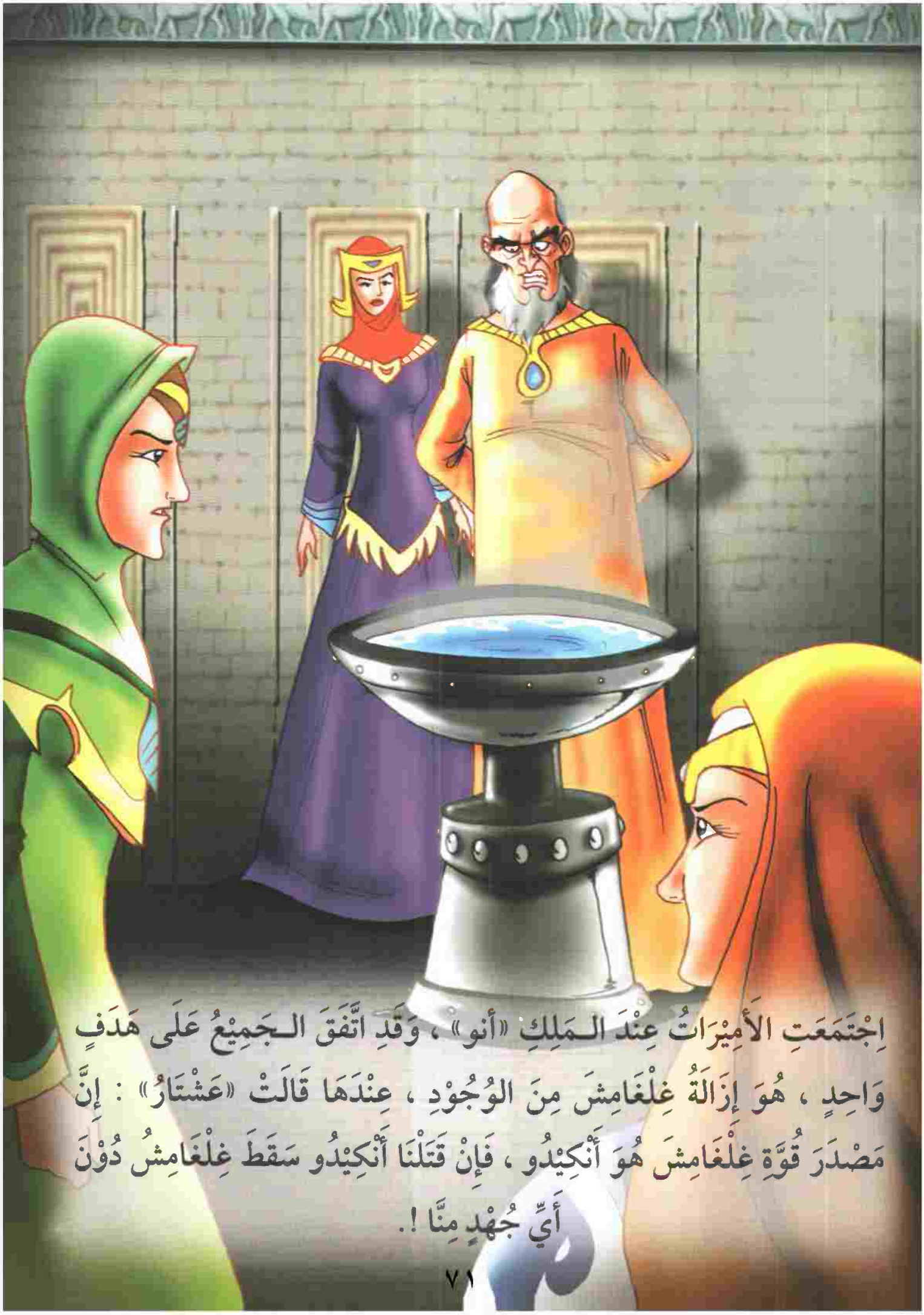

اِجْتَمَعَتِ الأَمِيْرَاتُ عِنْدَ الـمَلِكِ «أنو» ، وَقَدِ اتَّفَقَ الـجَمِيْعُ عَلَى هَدَفٍ وَاحِدٍ ، هُوَ إِزَالَةُ غِلْغَامِشَ مِنَ الوُجُوْدِ ، عِنْدَهَا قَالَتْ «عَشْتَارُ» : إِنَّ مَصْدَرَ قُوَّةِ غِلْغَامِشَ هُوَ أَنْكِيْدُو ، فَإِنْ قَتَلْنَا أَنْكِيْدُو سَقَطَ غِلْغَامِشُ دُوْنَ أَيِّ جُهْدٍ مِنَّا !.

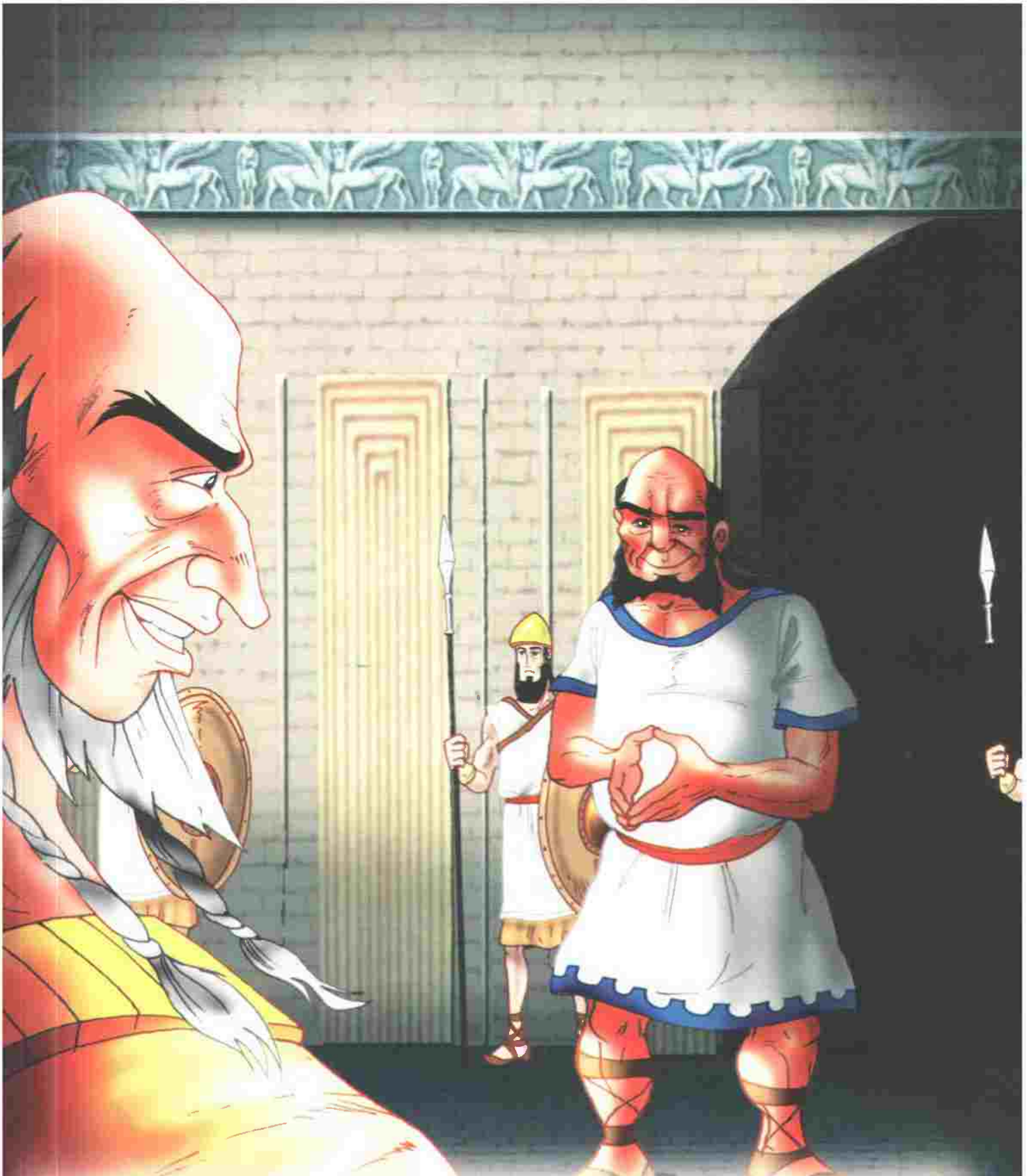

قَالَ «أنو» : نِعْمَ الرَّأْيُ ، وَاسْتَدْعَى «أنو» طَبَّاخَ قَصْرِ غِلْغَامِشَ ، وَقَالَ لَهُ : مَا عَلَيْكَ إِلا تَسْمِيْمَ طَعَامِ أَنْكِيْدُو وَسَتَحْصَلُ بَعْدَهَا عَلَى ثَرْوَةٍ عَظِيْمَةٍ تَكْفِيْكَ لِبَقِيَّةِ حَيَاتِكَ !.

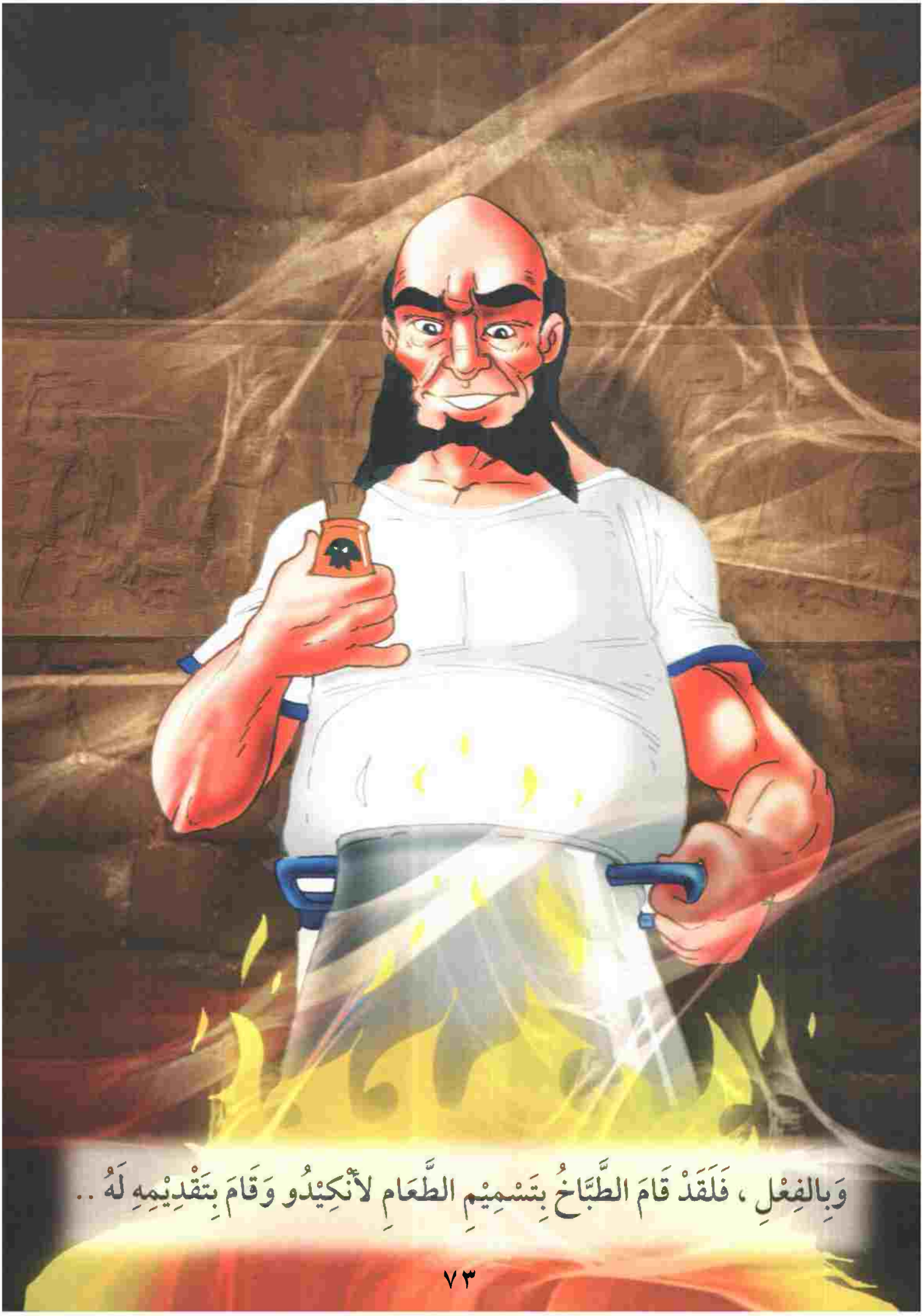

وَبِالفِعْلِ ، فَلَقَدْ قَامَ الطَّبَّاخُ بِتَسْمِيْمِ الطَّعَامِ لأنْكِيْدُو وَقَامَ بِتَقْدِيْمِهِ لَهُ ..

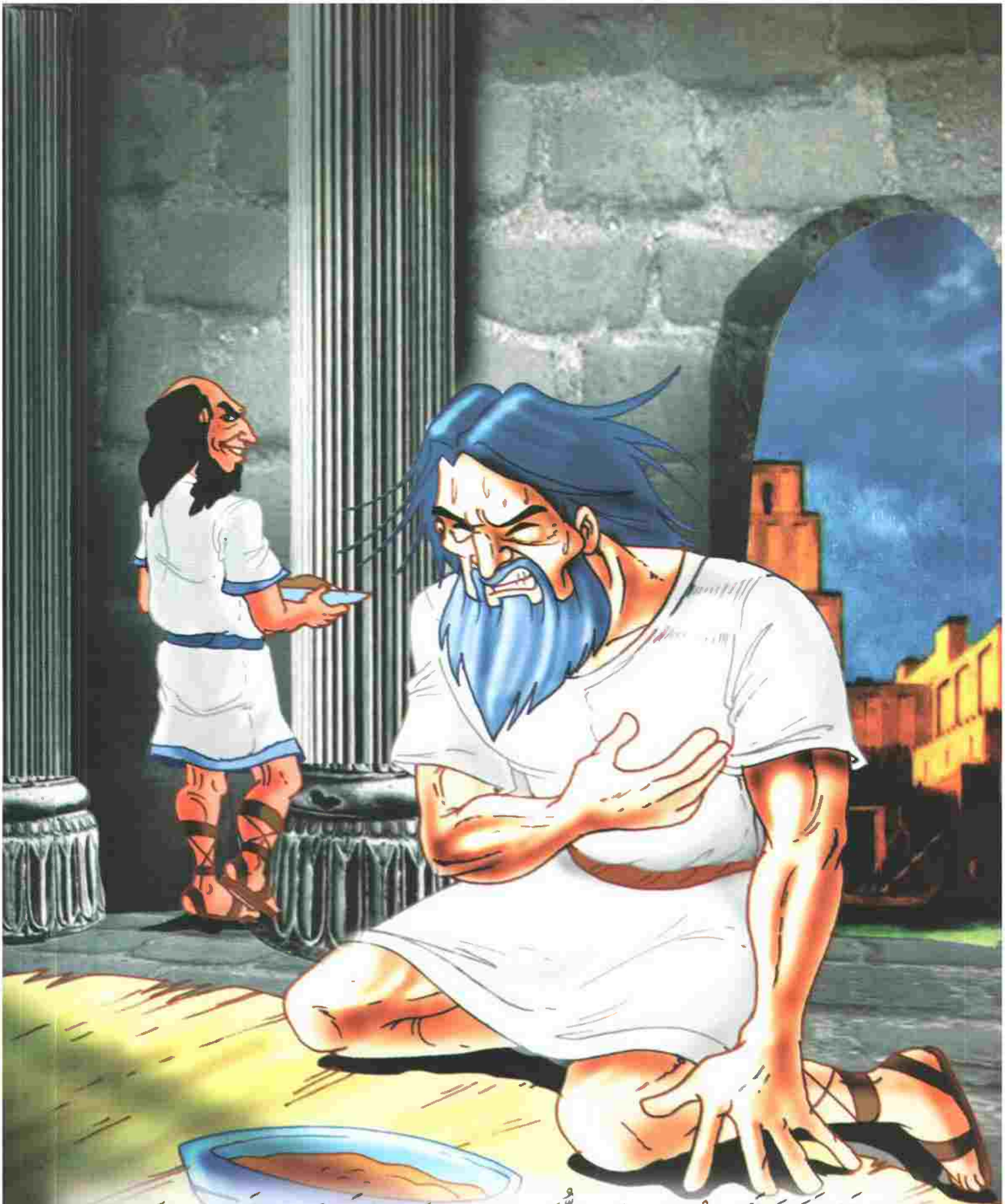

وَمَا أَنْ أَكَلَ أَنْكِيْدُو بَعْضَ اللُّقَيْمَاتِ حَتَّى بَدَأَ يَشْعُرُ بِأَوْجَاعٍ شَدِيْدَةٍ ،
وَأَلَمٍ فِي مَعِدَتِهِ !..

وَمَا هِيَ إِلا بِضْعُ دَقَائِقَ حَتَّى سَقَطَ أَنْكِيْدُو مَيْتاً بِفِعْلِ هَذَا السُّمِّ !.

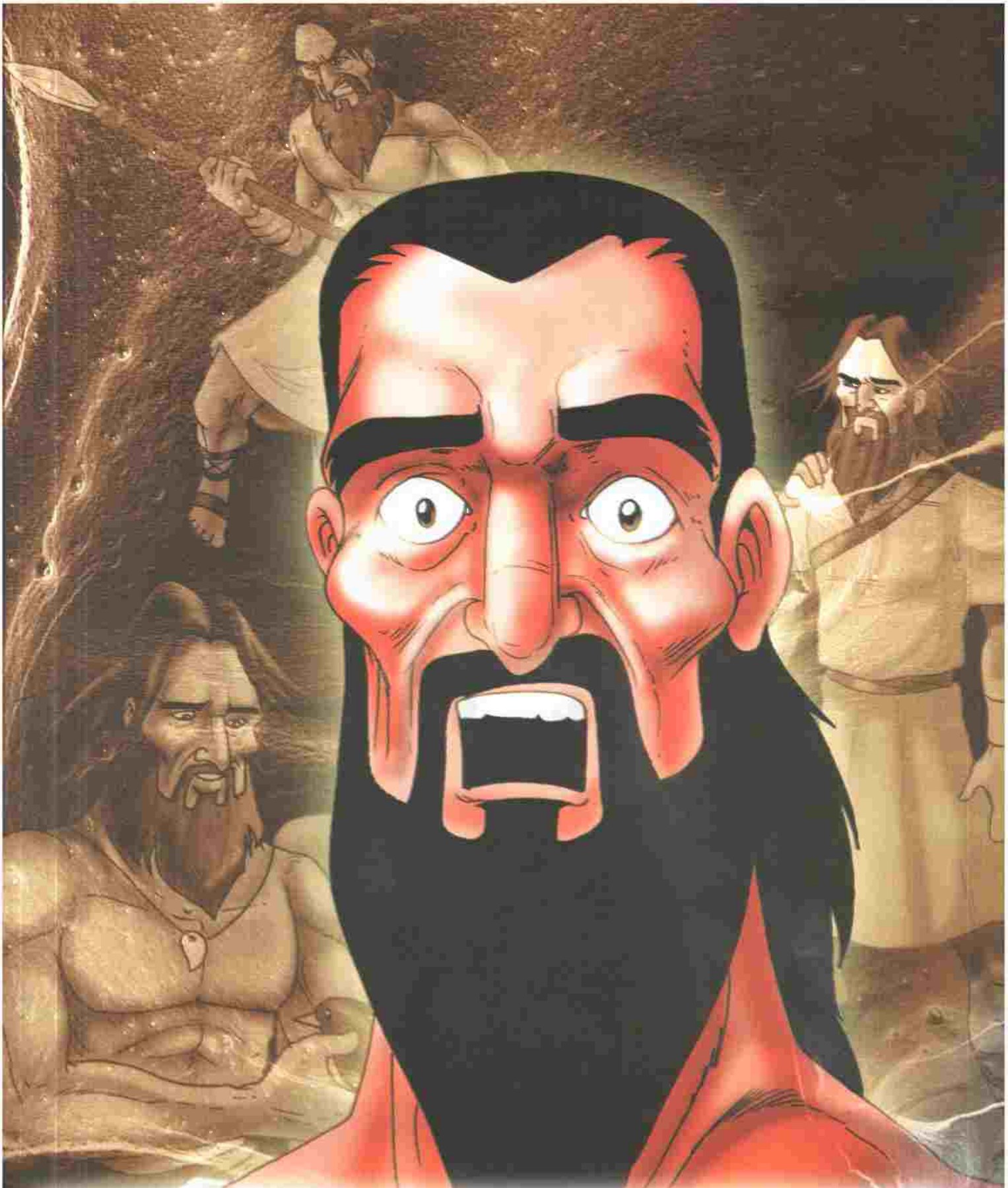

وَصُعِقَ غِلْغَامِشُ عِنْدَمَا وَصَلَهُ خَبَرُ أَنْكِيْدُو ، فَلَقَدْ كَانَ أَنْكِيْدُو أَكْثَرَ مِنْ أَخٍ لِغِلْغَامِشَ !.

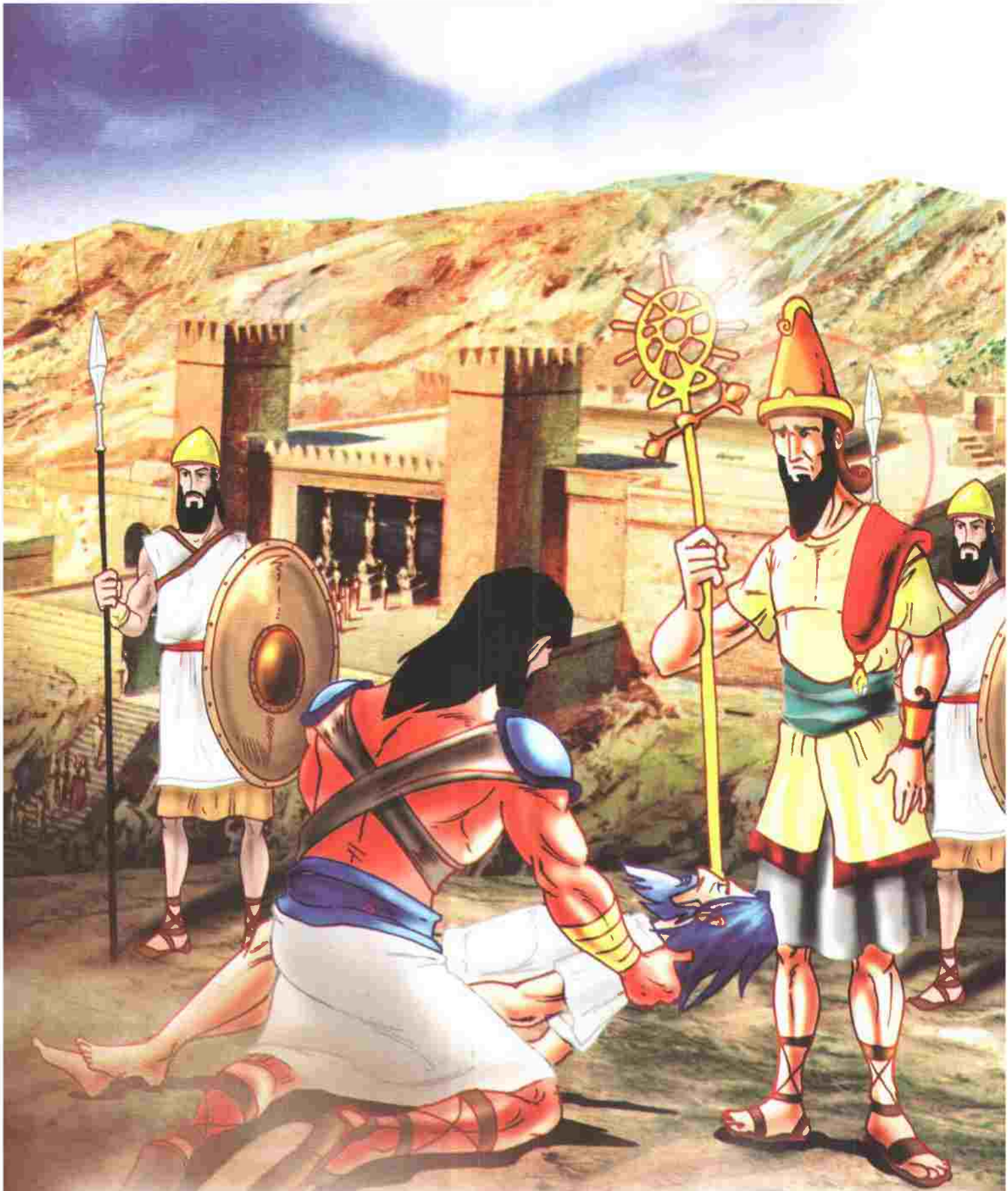

وَقَامَ غِلْغَامِشُ بِدَفْنِ صَدِيْقِهِ أَنْكِيْدُو بِيَدَيْهِ ، وَقَلْبُهُ يَنْفَطِرُ حُزْناً عَلَى صَدِيْقِهِ العَزِيْزِ !.

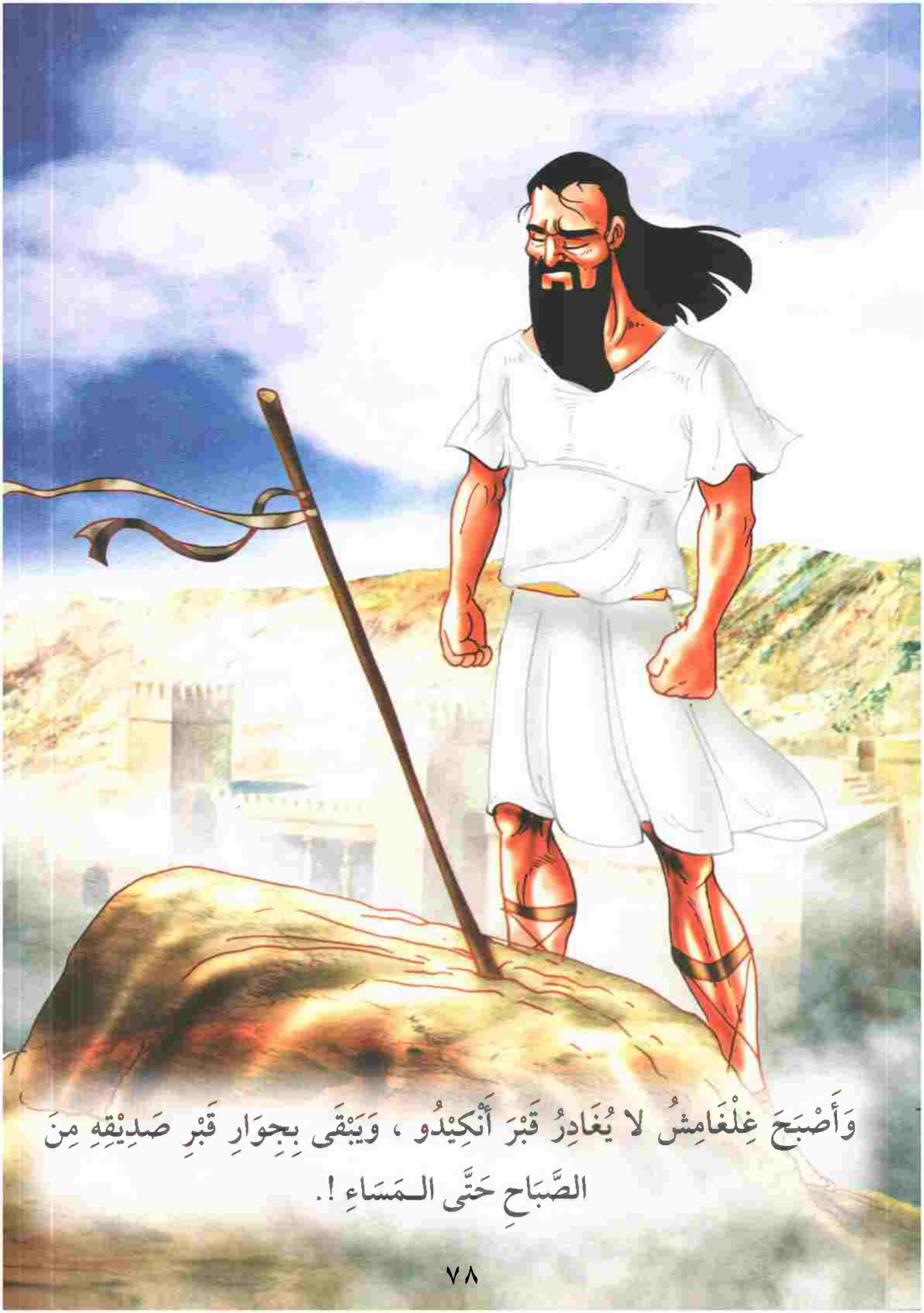

وَأَصْبَحَ غِلْغَامِشُ لا يُغَادِرُ قَبْرَ أَنْكِيْدُو ، وَيَبْقَى بِجِوَارِ قَبْرِ صَدِيْقِهِ مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى الـمَسَاءِ !.

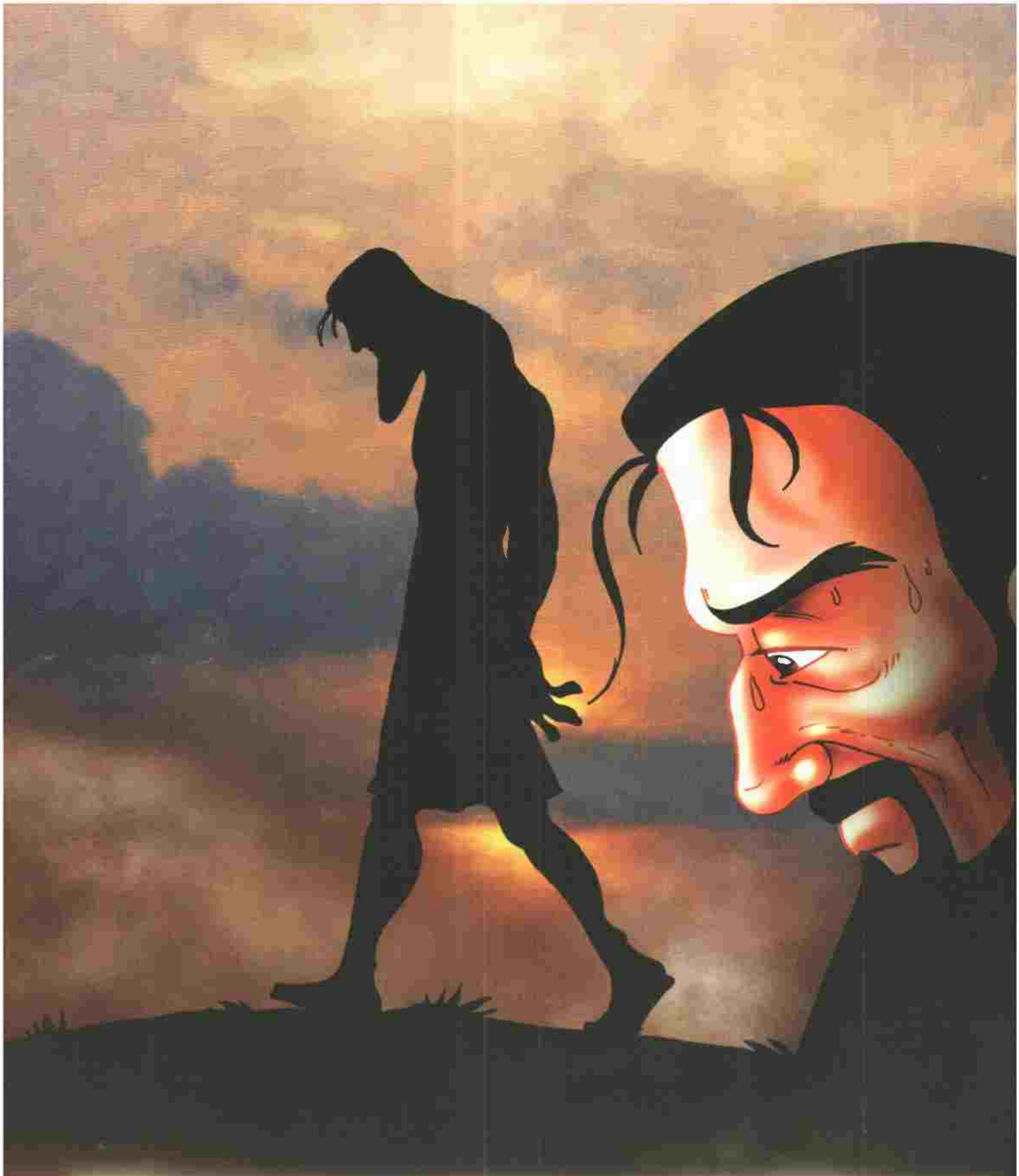

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ انْطَلَقَ غِلْغَامِشُ سَارِحاً فِي الوِدْيَانِ هَائِماً عَلَى وَجْهِهِ ، لا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ ، فَلَقَدْ ضَاقَ بِهِ الكَوْنُ بِمَا رَحُبَ بَعْدَ وَفَاةِ صَدِيْقِهِ العَزِيْزِ !..

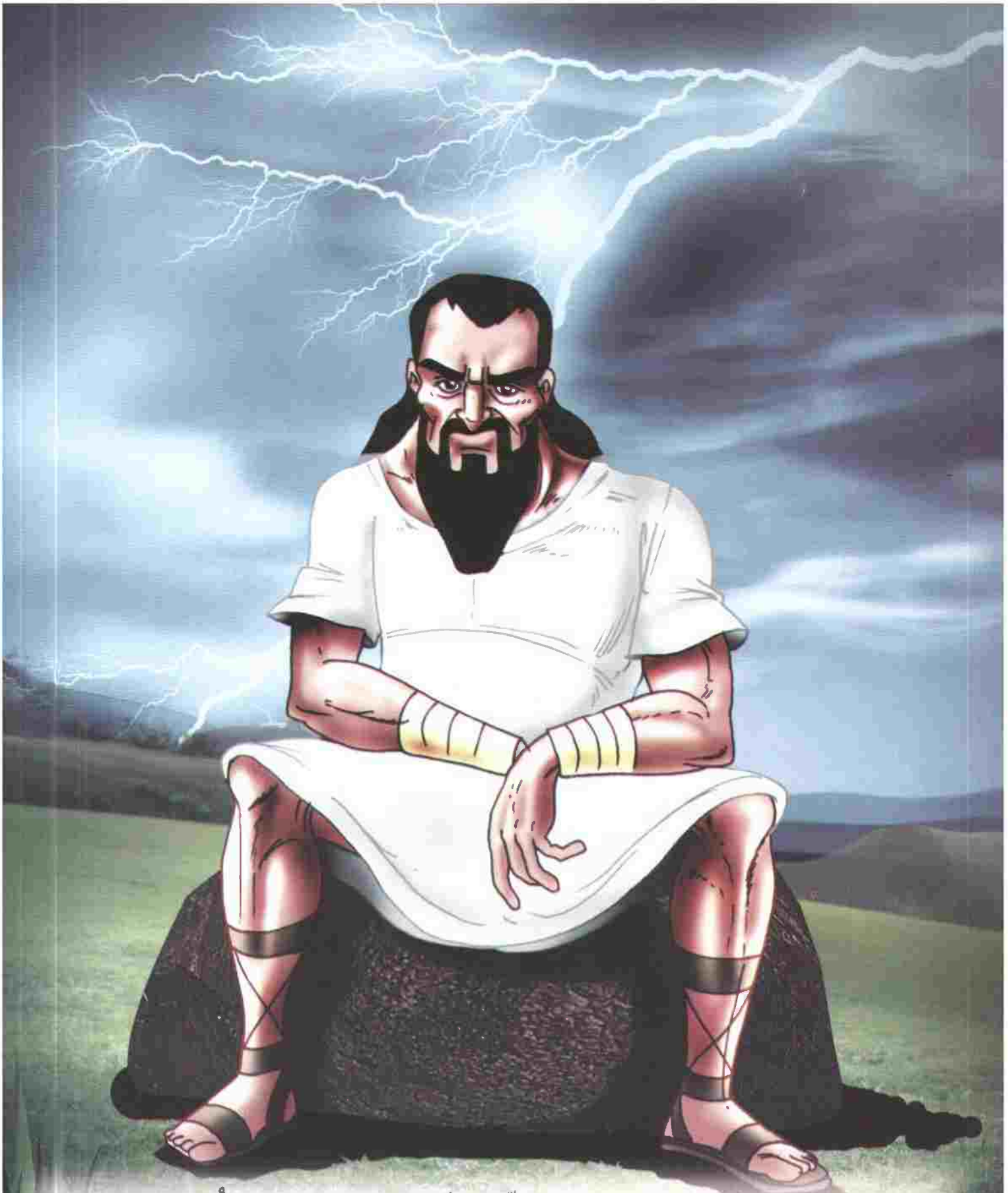

وَجَلَسَ غِلْغَامِشُ عَلَى صَخْرَةٍ يُفَكِّرُ : أَمَا مِنْ طَرِيْقَةٍ يَدْرَأُ بِهَا الشَّخْصُ الـمَوْتَ عَنْ نَفْسِهِ ؟!.. أَمَا مِنْ طَرِيْقَةٍ يَحْيَا بِهَا الإِنْسَانُ دُوْنَ أَنْ يَمُوْتَ ؟!.

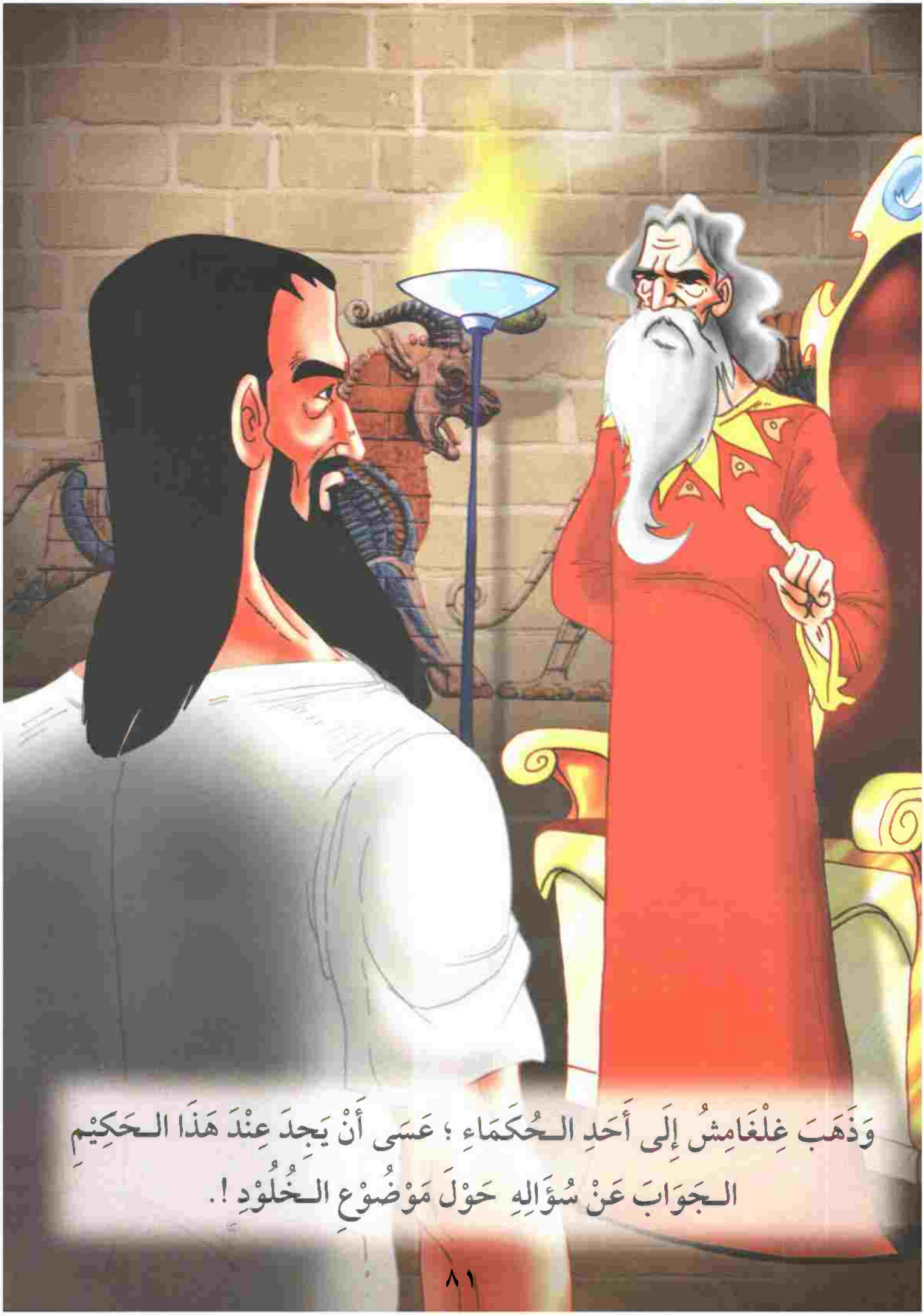

وَذَهَبَ غِلْغَامِشُ إِلَى أَحَدِ الـحُكَمَاءِ ؛ عَسَى أَنْ يَجِدَ عِنْدَ هَذَا الـحَكِيْمِ الـجَوَابَ عَنْ سُؤَالِهِ حَوْلَ مَوْضُوْعِ الـخُلُوْدِ !.

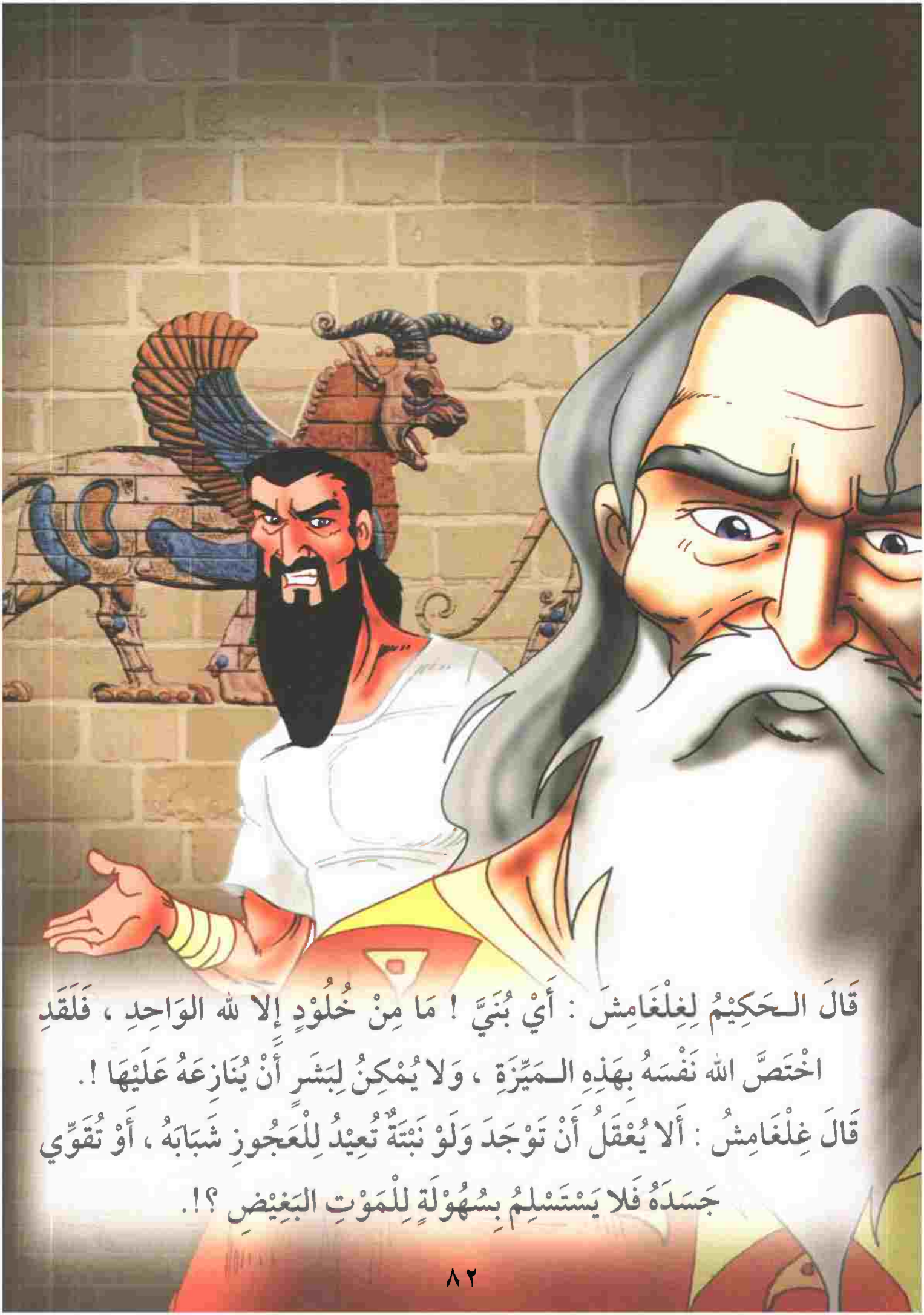

قَالَ الـحَكِيْمُ لِغِلْغَامِشَ : أَيْ بُنَيَّ ! مَا مِنْ خُلُوْدٍ إِلا لله الوَاحِدِ ، فَلَقَدِ اخْتَصَّ الله نَفْسَهُ بِهَذِهِ الـمَيِّزَةِ ، وَلا يُمْكِنُ لِبَشَرٍ أَنْ يُنَازِعَهُ عَلَيْهَا !.

قَالَ غِلْغَامِشُ : أَلا يُعْقَلُ أَنْ تَوْجَدَ وَلَوْ نَبْتَةٌ تُعِيْدُ لِلْعَجُوزِ شَبَابَهُ ، أَوْ تُقَوِّي جَسَدَهُ فَلا يَسْتَسْلِمُ بِسُهُوْلَةٍ لِلْمَوْتِ البَغِيْضِ ؟!.

قَالَ لَهُ الـحَكِيْمُ : اذْهَبْ إِلَى الـحَكِيْم «أوتنابشتمَ» ! تَجِدْ ضَالَّتَكَ عِنْدَهُ ، أَمَّا أَنَا فَلا حَلَّ لِـمشْكِلَتِكَ عِنْدِي ! وَمَضَى غِلْغَامِشُ نَحْوَ «أوتنابشتمَ» بَاحِثاً عَنْ سِرِّ الـخُلُودِ وَالـحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ !..

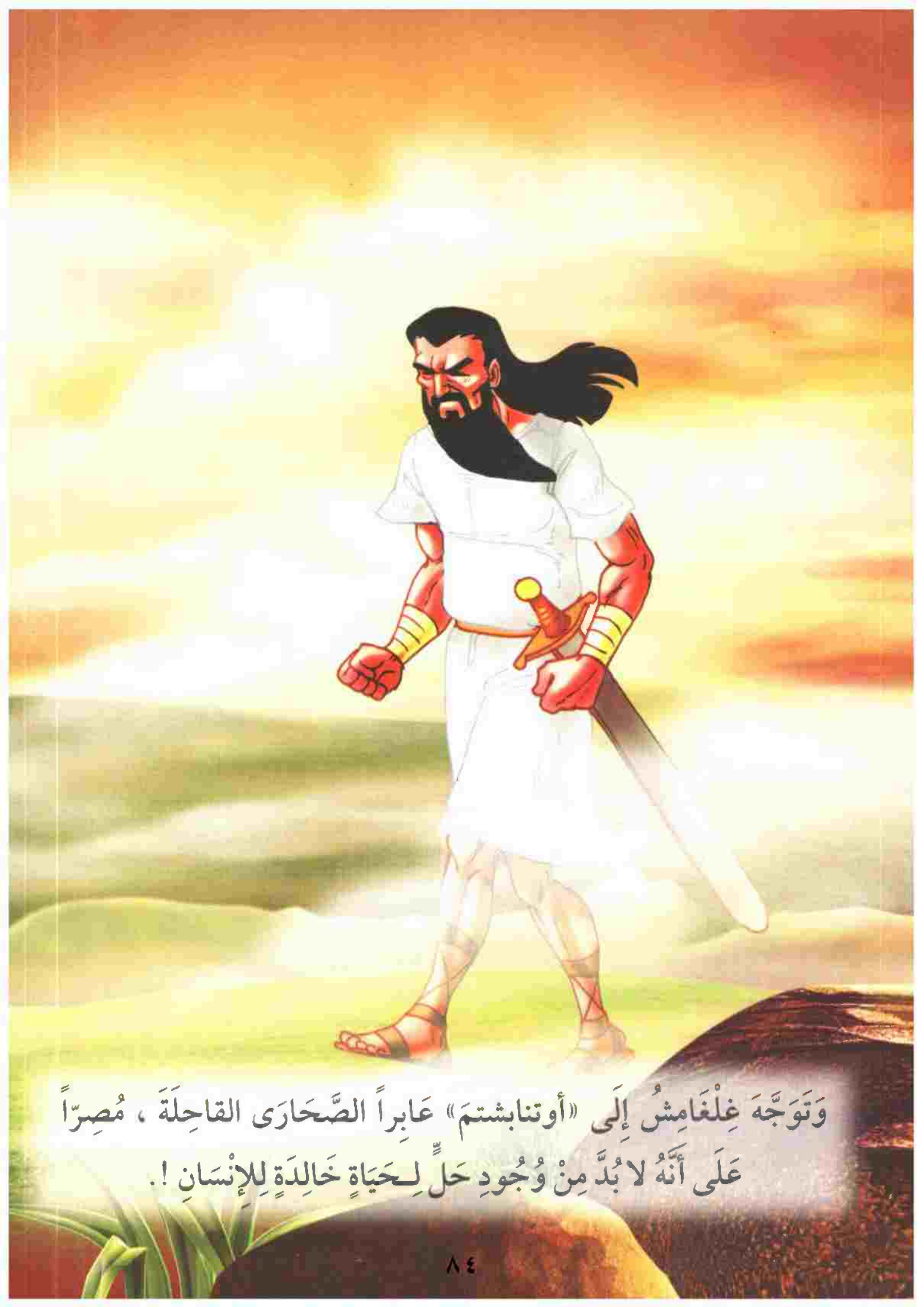

وَتَوَجَّهَ غِلْغَامِشُ إِلَى «أوتنابشتمَ» عَابِراً الصَّحَارَى القَاحِلَةَ ، مُصِرّاً عَلَى أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْ وُجُودِ حَلٍّ لِـحَيَاةٍ خَالِدَةٍ لِلإِنْسَانِ !.

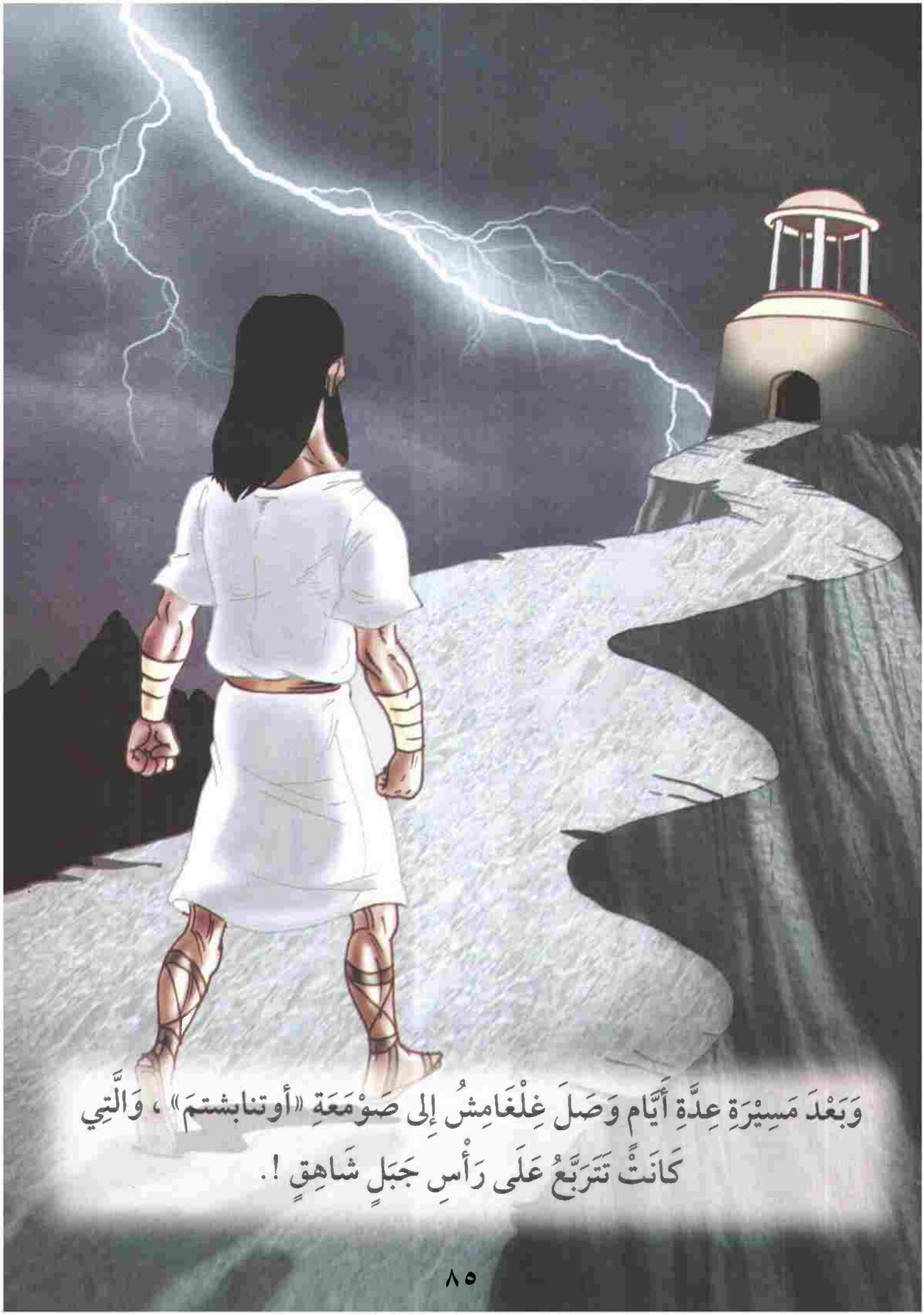

وَبَعْدَ مَسِيْرَةِ عِدَّةِ أَيَّام وَصَلَ غِلْغَامِشُ إِلى صَوْمَعَةِ «أوتنابشتمَ» ، وَالَّتِي كَانَتْ تَتَرَبَّعُ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ شَاهِقٍ !.

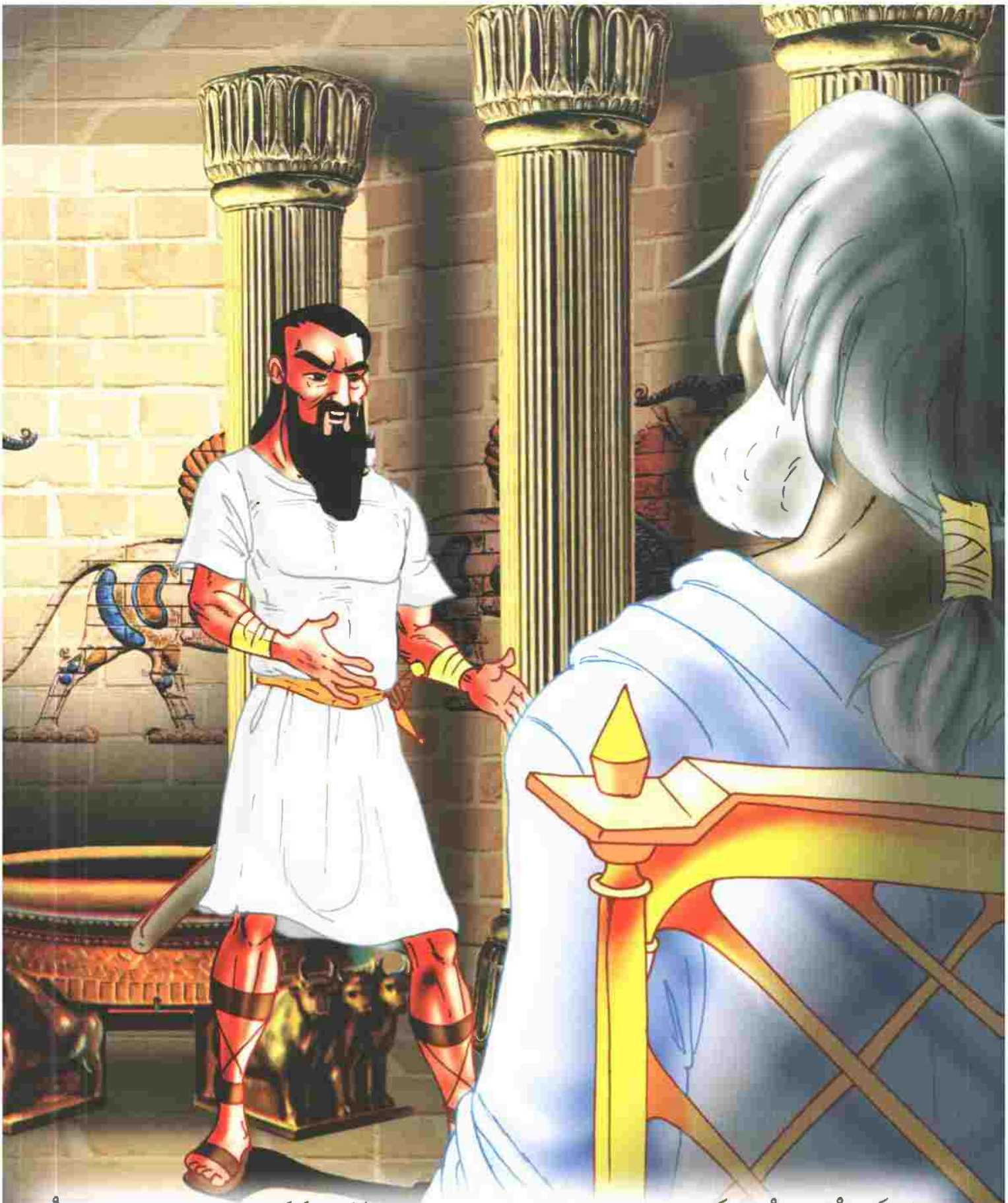

دَخَلَ غِلْغَامِشُ عَلَى الـحَكِيْمِ «أوتنابشتمَ» وَحَدَّثَهُ بِطَلَبِهِ ؛ وَهُوَ الـحُصُوْلُ عَلَى الـخُلُوْدِ الأَبَدِيِّ !.

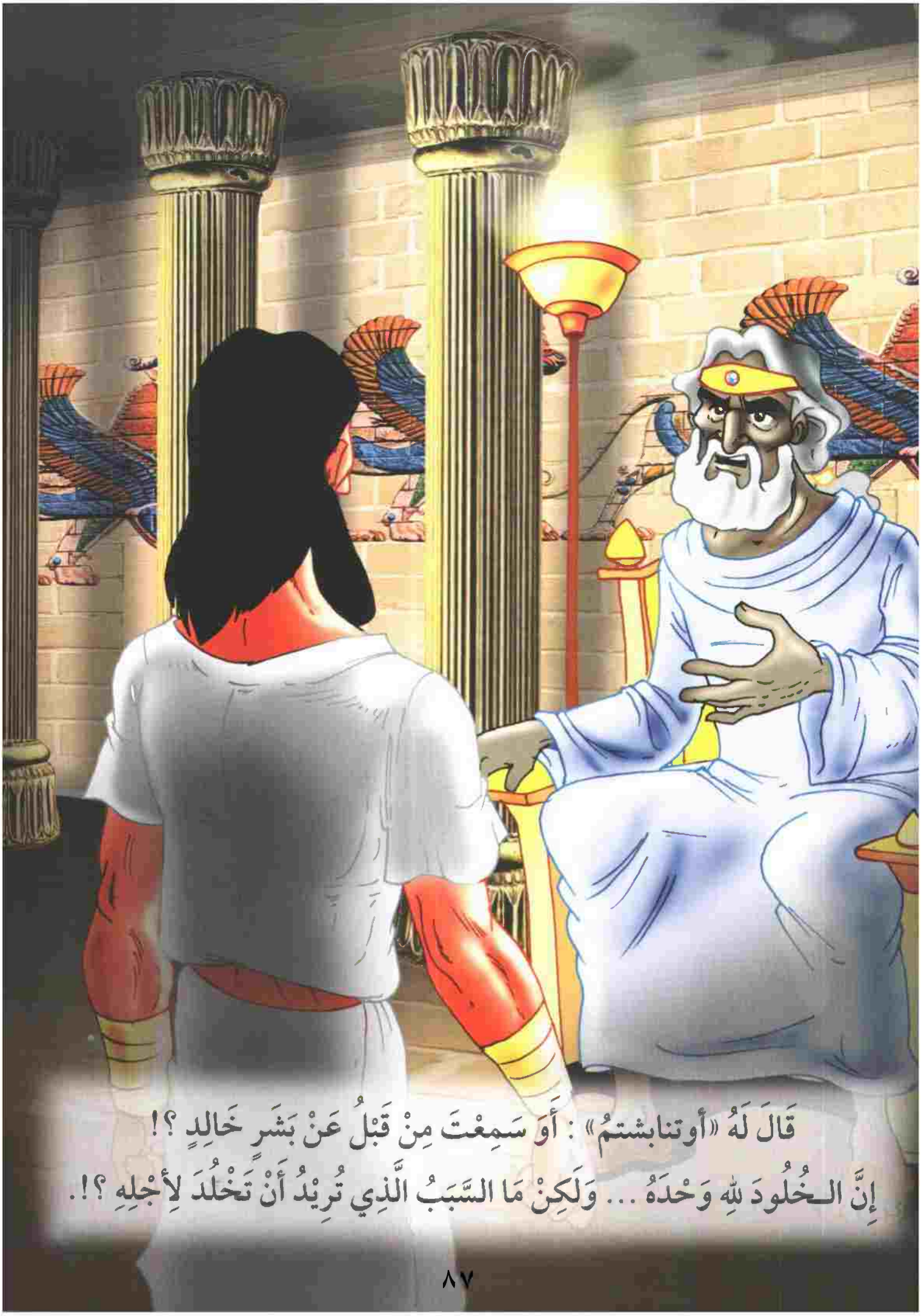

قَالَ لَهُ «أوتنابشتمُ» : أَوَ سَمِعْتَ مِنْ قَبْلُ عَنْ بَشَرٍ خَالِدٍ ؟!
إِنَّ الـخُلُودَ للهِ وَحْدَهُ ... وَلَكِنْ مَا السَّبَبُ الَّذِي تُرِيْدُ أَنْ تَخْلُدَ لِأَجْلِهِ ؟!.

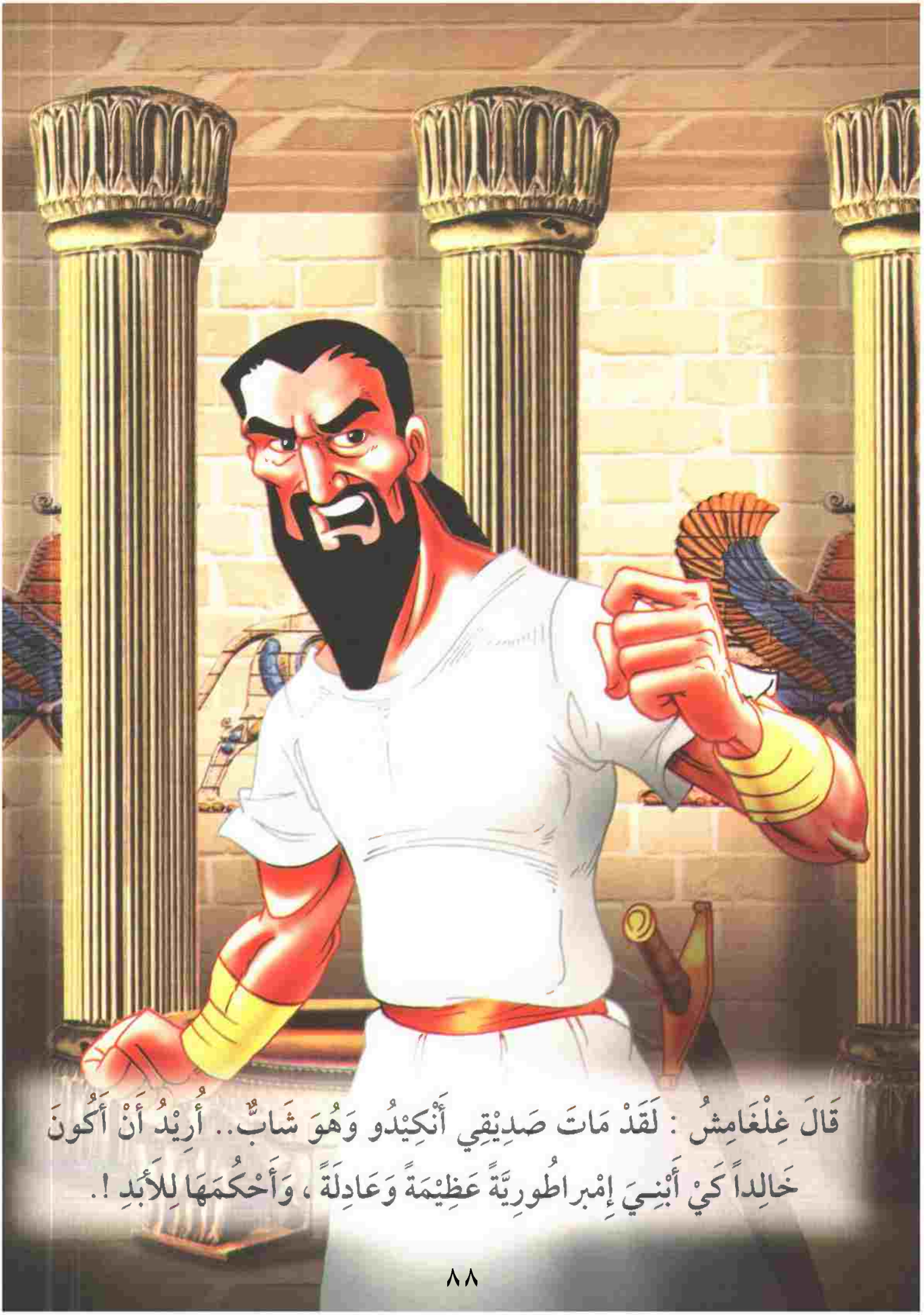

قَالَ غِلْغَامِشُ : لَقَدْ مَاتَ صَدِيْقِي أَنْكِيْدُو وَهُوَ شَابٌّ.. أُرِيْدُ أَنْ أَكُونَ خَالِداً كَيْ أَبْنِيَ إِمْبراطُورِيَّةً عَظِيْمَةً وَعَادِلَةً ، وَأَحْكُمَهَا لِلأَبَدِ !.

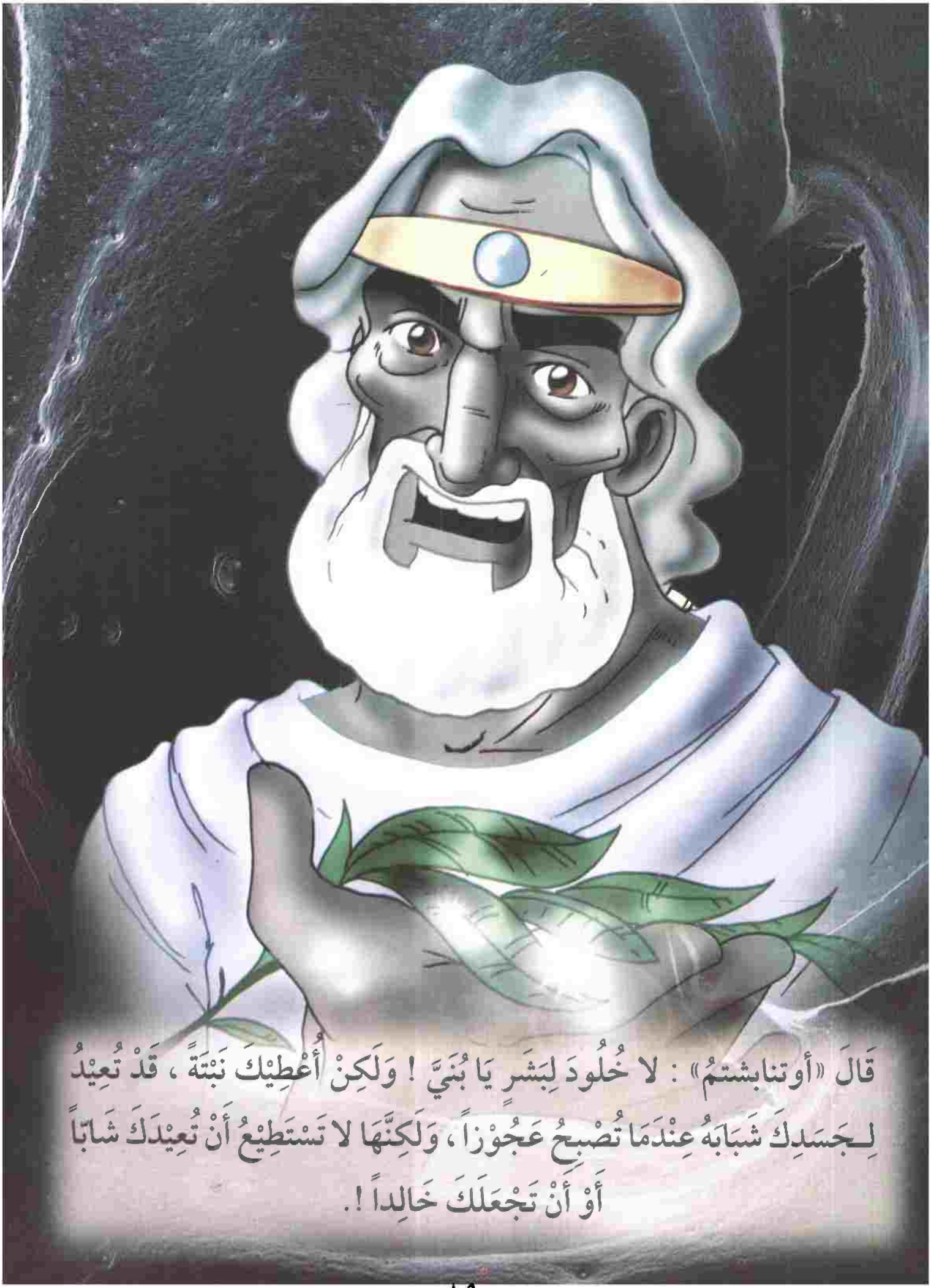

قَالَ «أوتنابشتمُ» : لا خُلُودَ لِبَشَرٍ يَا بُنَيَّ ! وَلَكِنْ أُعْطِيْكَ نَبْتَةً ، قَدْ تُعِيْدُ لِـجَسَدِكَ شَبَابَهُ عِنْدَمَا تُصْبِحُ عَجُوْزاً ، وَلَكِنَّهَا لا تَسْتَطِيْعُ أَنْ تُعِيْدَكَ شَابّاً أَوْ أَنْ تَجْعَلَكَ خَالِداً !.

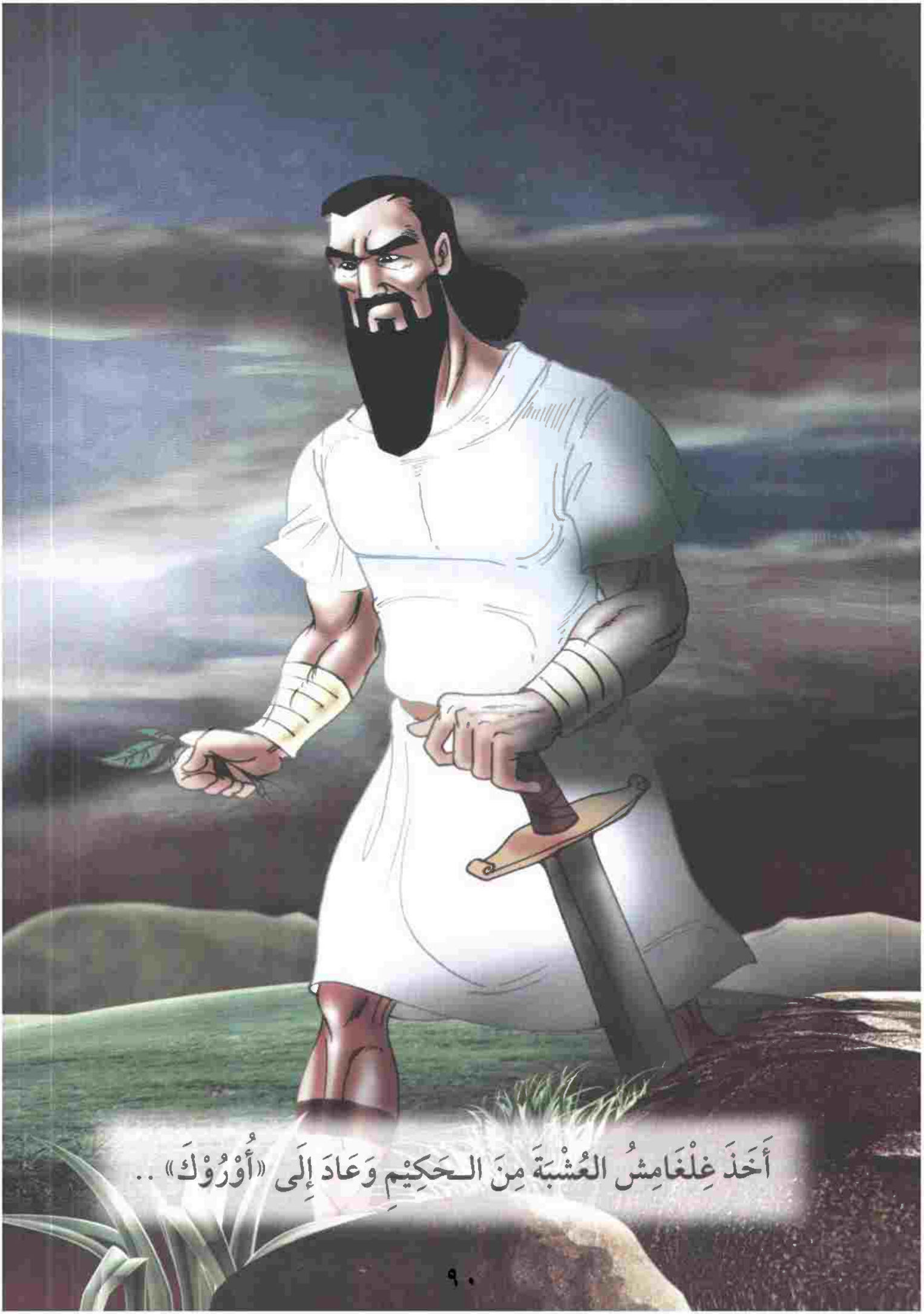

أَخَذَ غِلْغَامِشُ العُشْبَةَ مِنَ الـحَكِيْمِ وَعَادَ إِلَى «أُوْرُوْكَ» ..

وَفِي الطَّرِيْقِ كَانَتِ الشَّمْسُ شَدِيْدَةَ الـحَرَارَةِ ، فَشَعَرَ غِلْغَامِشُ بِالعَطَشِ الشَّدِيْدِ ! فَأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ غَدِيْرِ مَاءٍ قَرِيْبٍ !.

وَعِنْدَمَا وَجَدَ الماءَ وَضَعَ أَغْرَاضَهُ عَلَى الأَعْشَابِ ، وَنَزَلَ يَغْتَسِلُ بِالماءِ كَي يُرَطِّبَ جَسَدَهُ بَعْدَ الـحَرِّ الَّذِي أَصَابَهُ !.

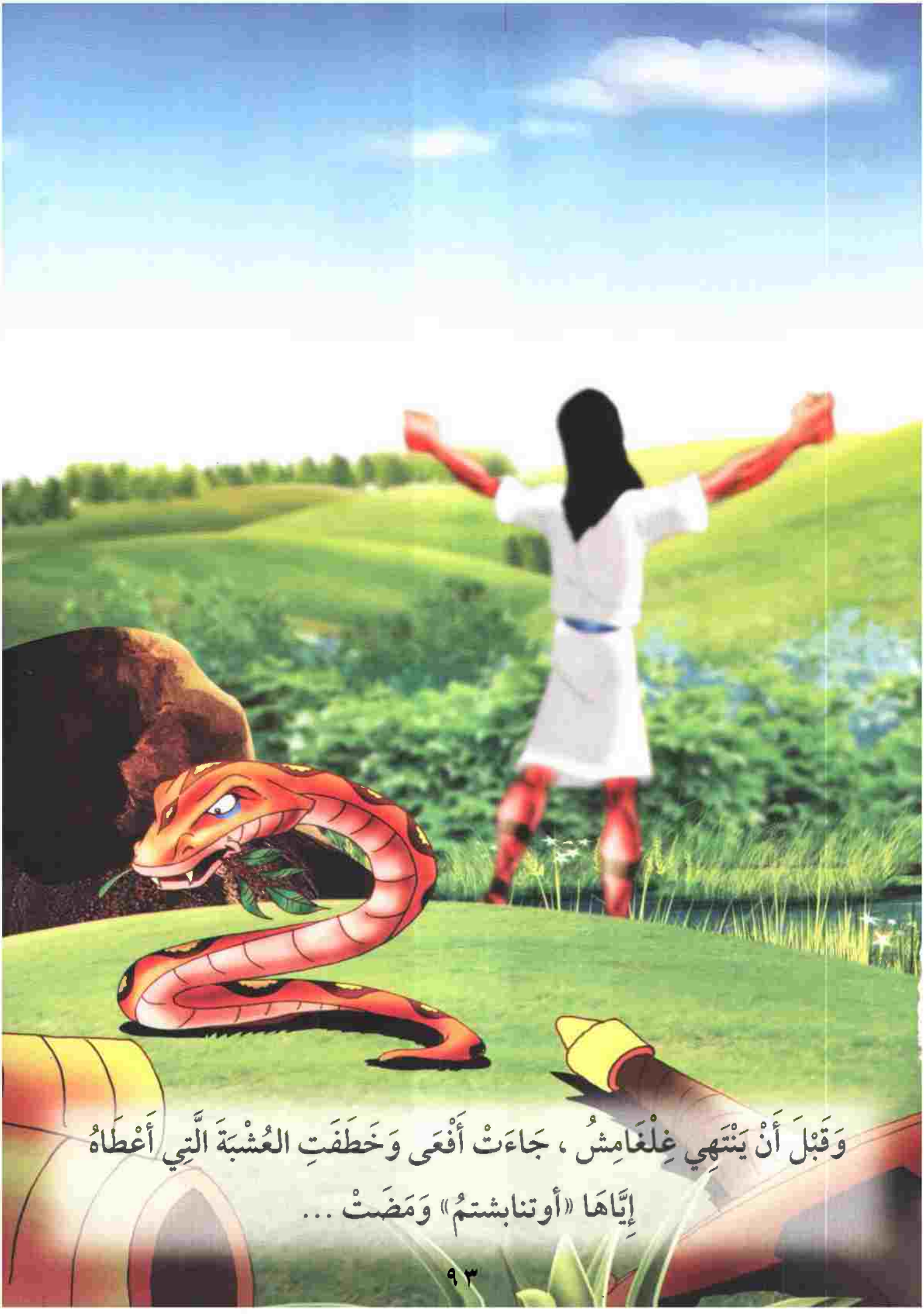

وَقَبْلَ أَنْ يَنْتَهِي غِلْغَامِشُ ، جَاءَتْ أَفْعَى وَخَطَفَتِ العُشْبَةَ الَّتِي أَعْطَاهُ إِيَّاهَا «أوتنابشتمُ» وَمَضَتْ ...

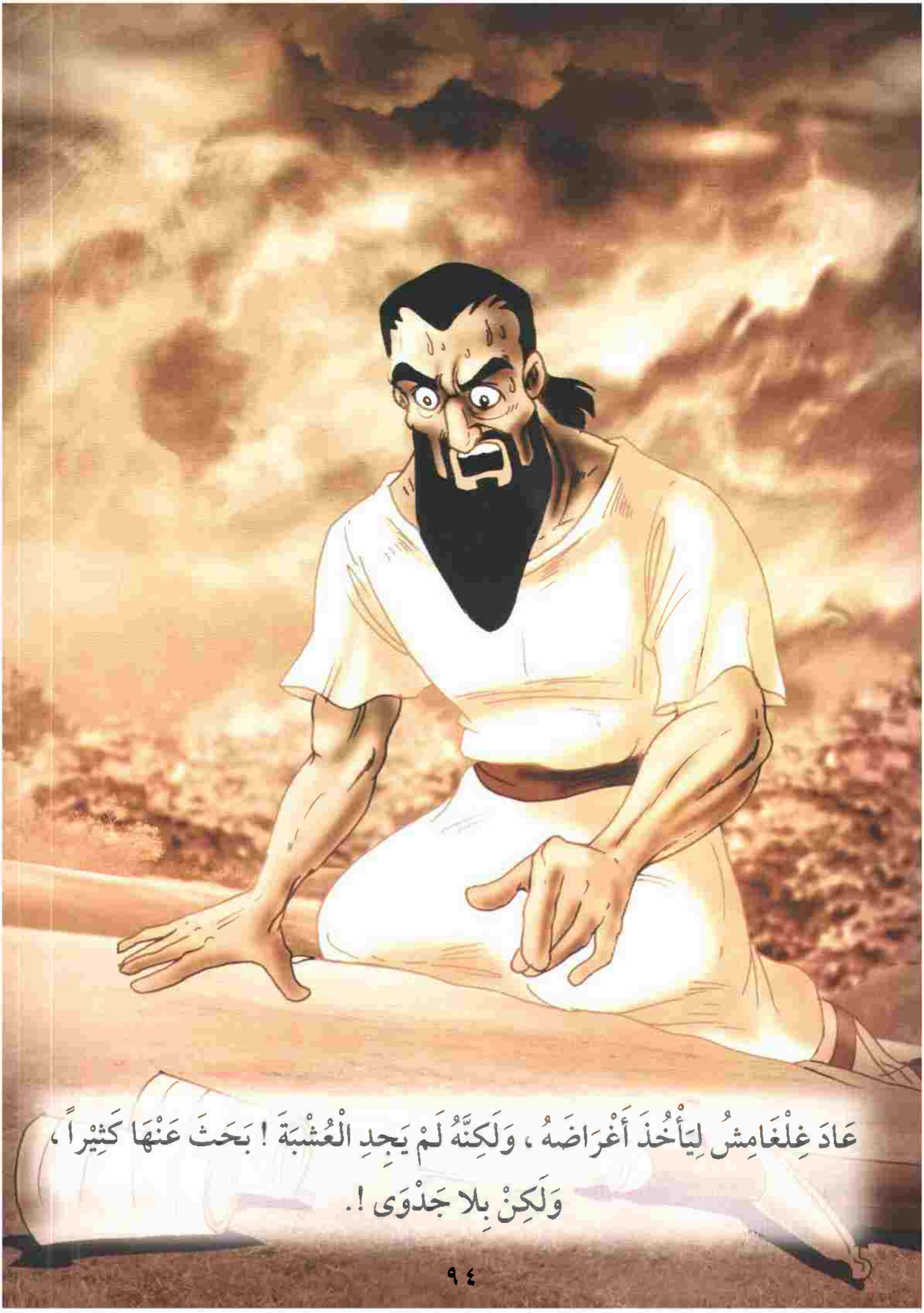

عَادَ غِلْغَامِشُ لِيَأْخُذَ أَغْرَاضَهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدِ الْعُشْبَةَ ! بَحَثَ عَنْهَا كَثِيْراً ، وَلَكِنْ بِلا جَدْوَى !.

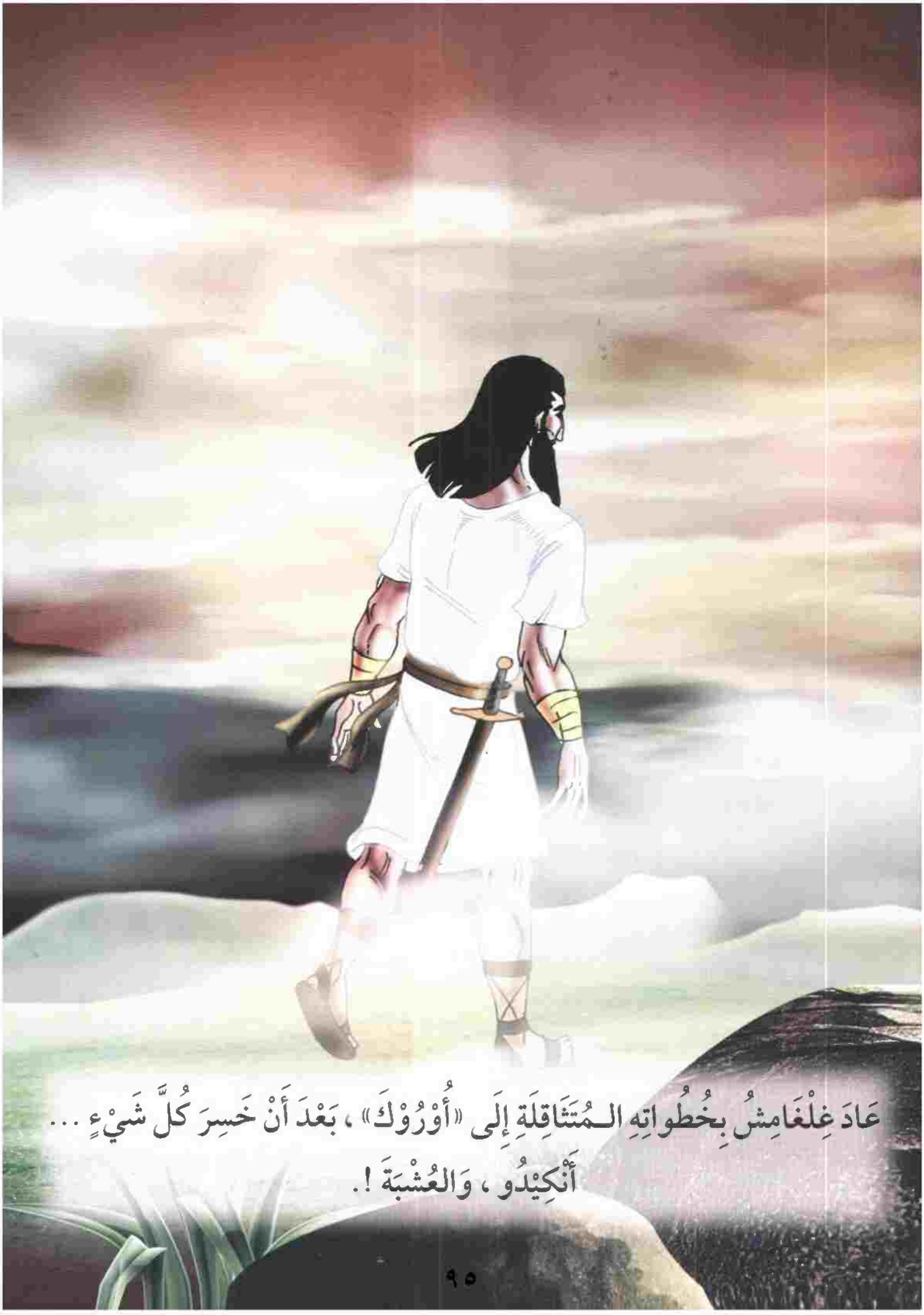

عَادَ غِلْغَامِشُ بِخُطُواتِهِ الـمُتَثَاقِلَةِ إِلَى «أُوْرُوْكَ» ، بَعْدَ أَنْ خَسِرَ كُلَّ شَيْءٍ ...
أَنْكِيْدُو ، وَالعُشْبَةَ !.

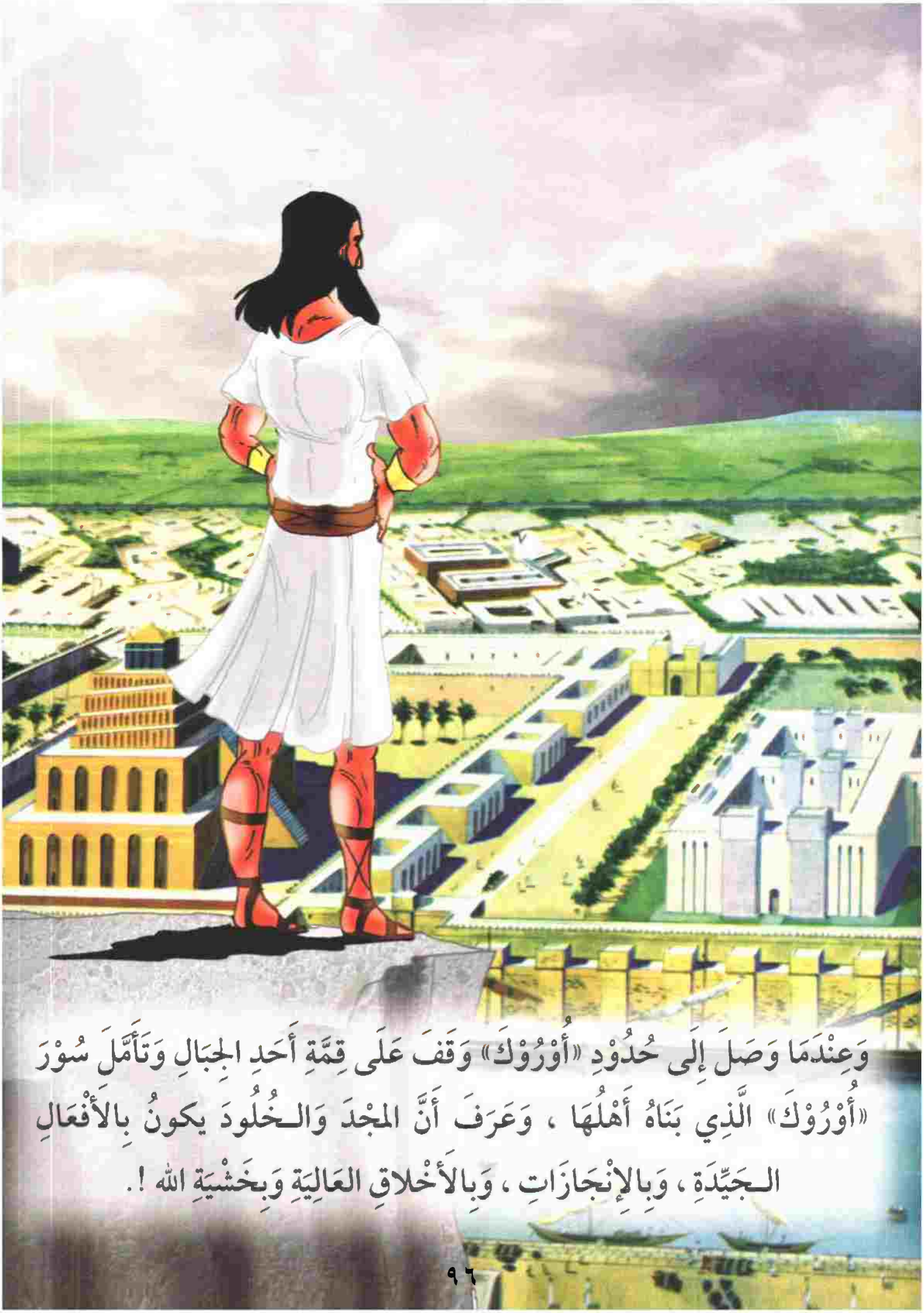

وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى حُدُوْدِ «أُوْرُوْكَ» وَقَفَ عَلَى قِمَّةِ أَحَدِ الجِبَالِ وَتَأَمَّلَ سُوْرَ «أُوْرُوْكَ» الَّذِي بَنَاهُ أَهْلُهَا ، وَعَرَفَ أَنَّ المجْدَ وَالـخُلُودَ يكونُ بِالأَفْعَالِ الـجَيِّدَةِ ، وَبِالإِنْجَازَاتِ ، وَبِالأَخْلاقِ العَالِيَةِ وَبِخَشْيَةِ الله !.

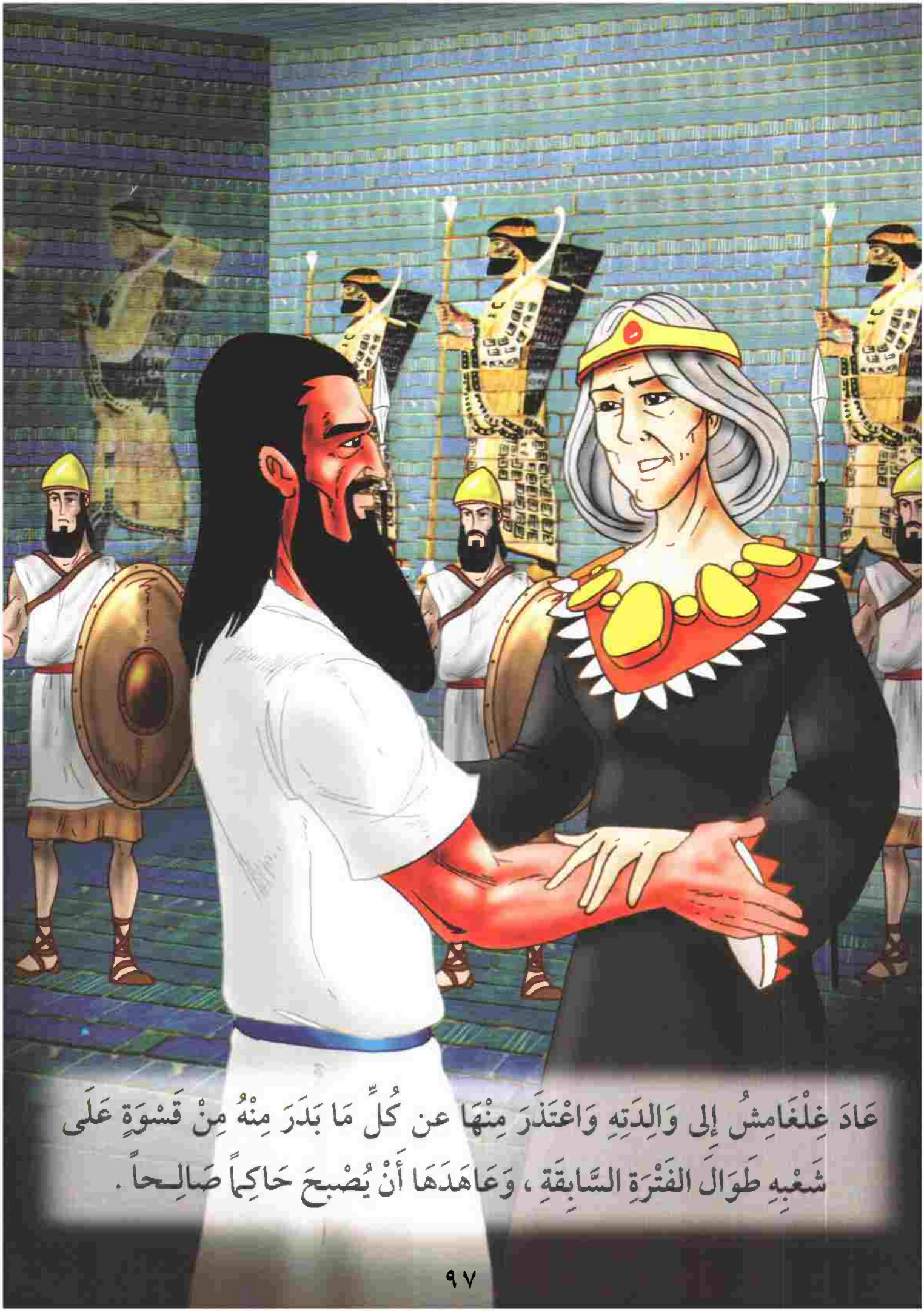

عَادَ غِلْغَامِشُ إِلى وَالِدَتِهِ وَاعْتَذَرَ مِنْهَا عن كُلِّ مَا بَدَرَ مِنْهُ مِنْ قَسْوَةٍ عَلَى شَعْبِهِ طَوَالَ الفَتْرَةِ السَّابِقَةِ ، وَعَاهَدَهَا أَنْ يُصْبحَ حَاكِماً صَالِحاً .

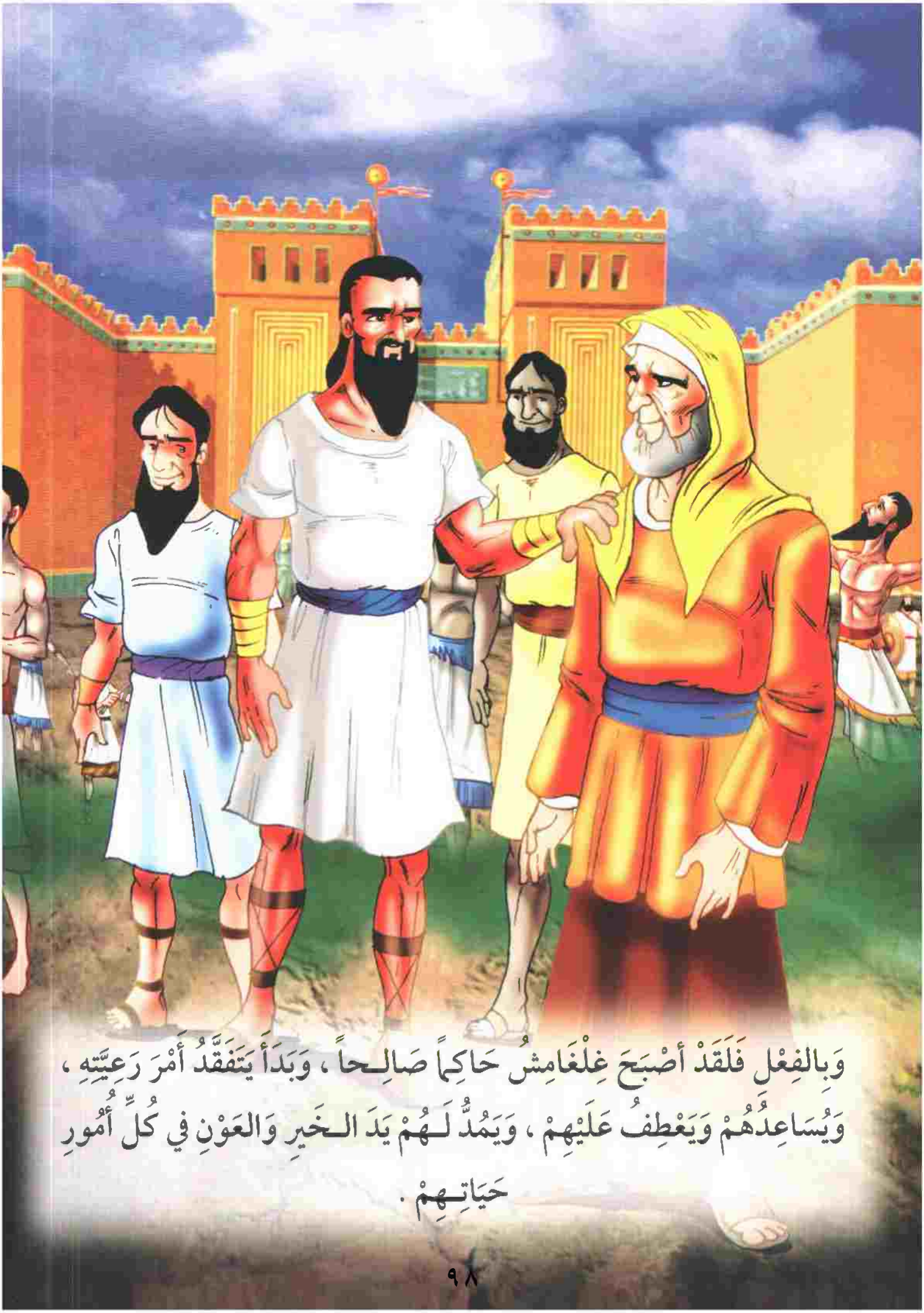

وَبِالفِعْلِ فَلَقَدْ أَصْبَحَ غِلْغَامِشُ حَاكِماً صَالِحاً ، وَبَدَأَ يَتَفَقَّدُ أَمْرَ رَعِيَّتِهِ ، وَيُسَاعِدُهُمْ وَيَعْطِفُ عَلَيْهِمْ ، وَيَمُدُّ لَهُمْ يَدَ الخَيرِ وَالعَوْنِ فِي كُلِّ أُمُورِ حَيَاتِهِمْ .

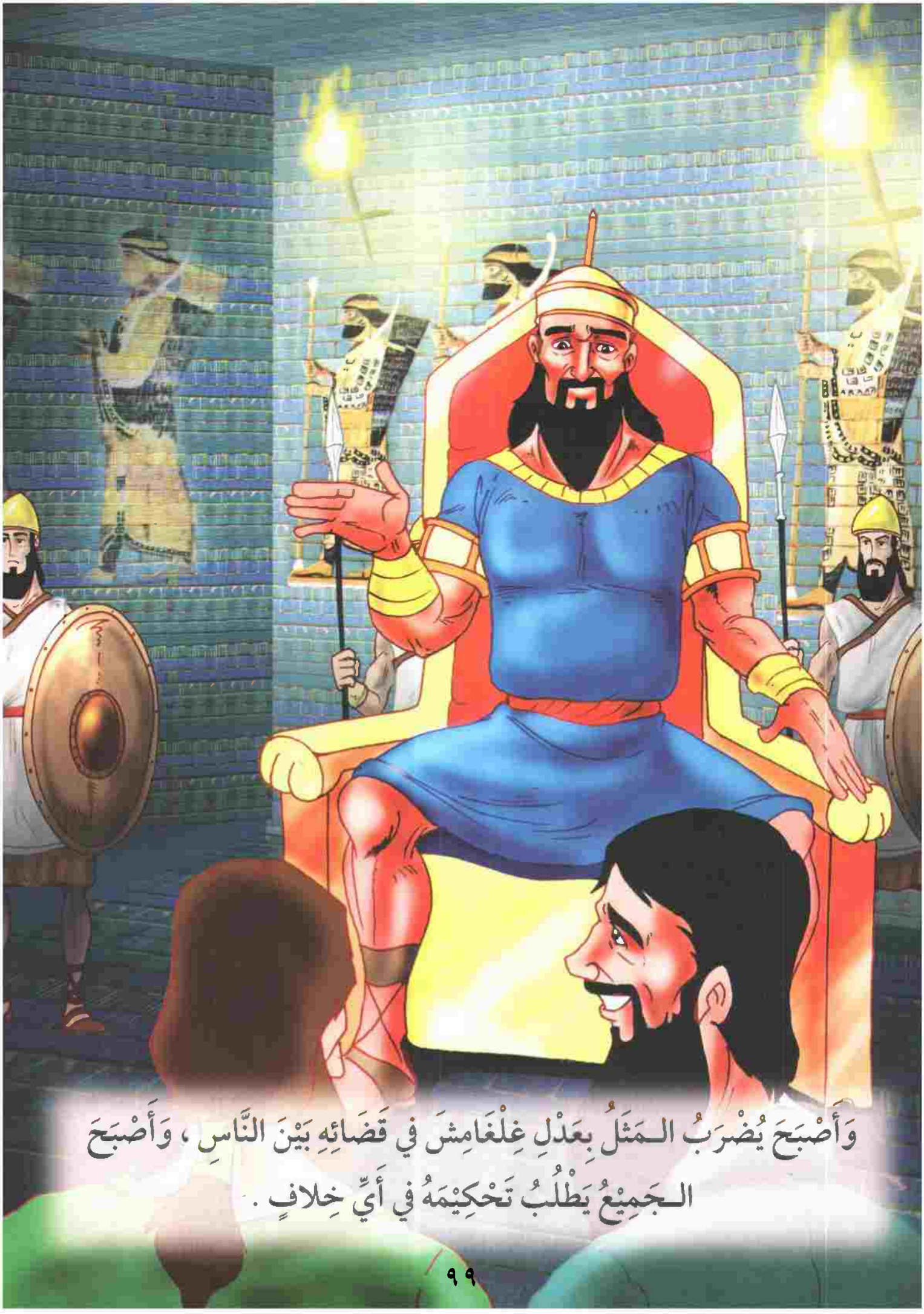

وَأَصْبَحَ يُضْرَبُ الـمَثَلُ بِعَدْلِ غِلْغَامِشَ فِي قَضَائِهِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَصْبَحَ الـجَمِيْعُ يَطْلُبُ تَحْكِيْمَهُ فِي أَيِّ خِلافٍ .

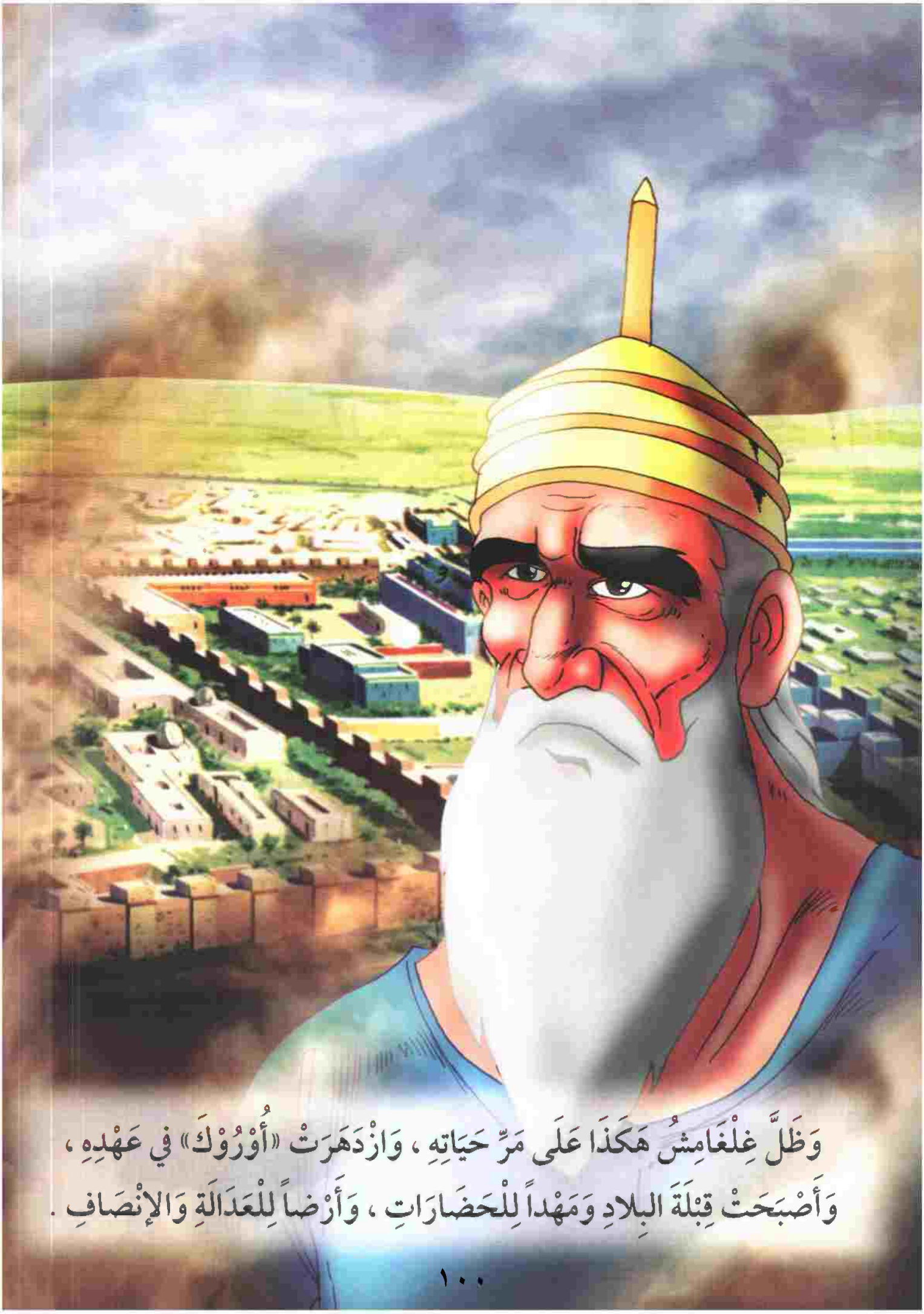

وَظَلَّ غِلْغَامِشُ هَكَذَا عَلَى مَرِّ حَيَاتِهِ ، وَازْدَهَرَتْ «أُوْرُوْكَ» فِي عَهْدِهِ ، وَأَصْبَحَتْ قِبْلَةَ البِلادِ وَمَهْداً لِلْحَضَارَاتِ ، وَأَرْضاً لِلْعَدَالَةِ وَالإِنْصَافِ .

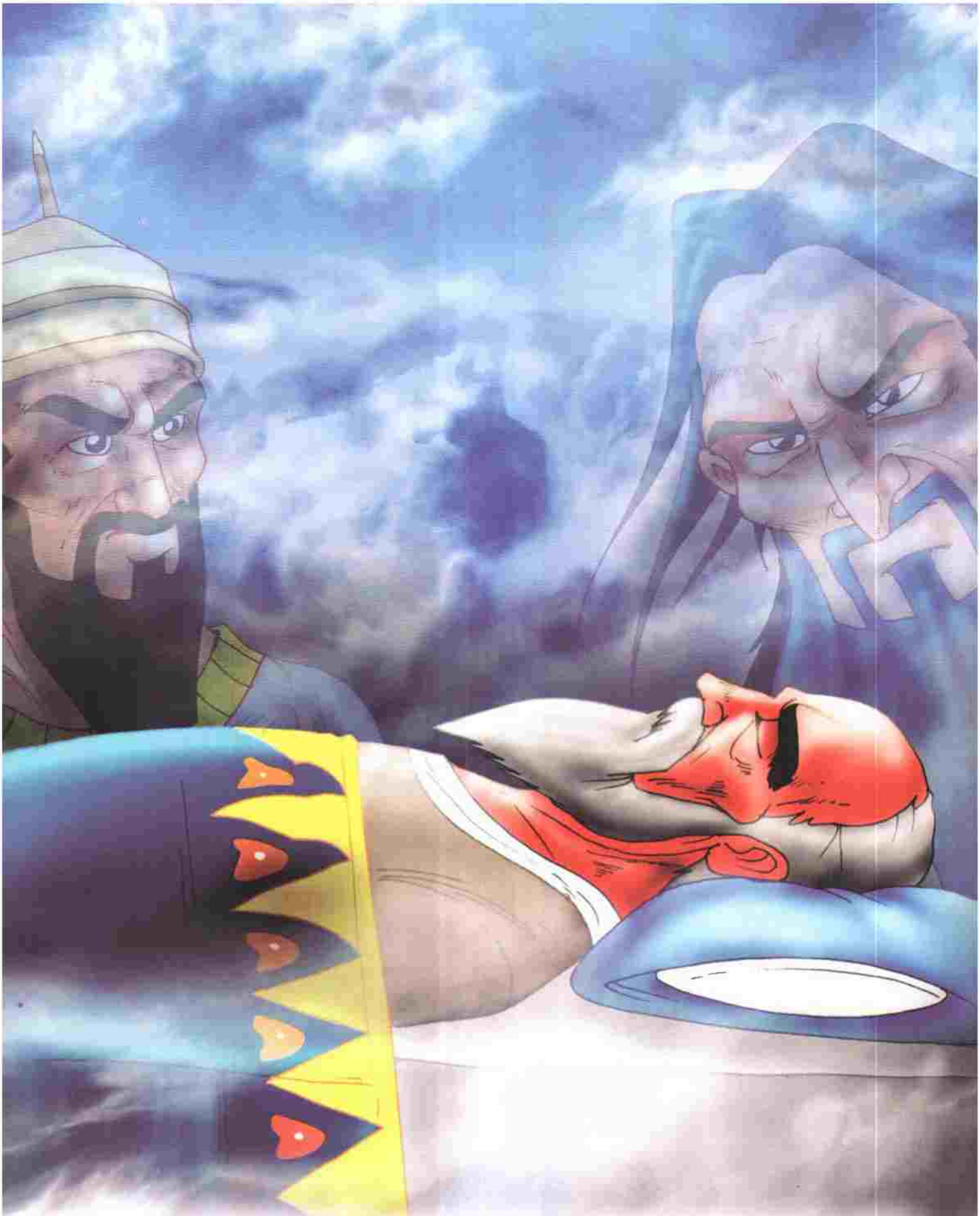

وَبَعْدَ حَيَاةٍ طَوِيْلَةٍ فَاضَتْ رُوْحُ غِلْغَامِشَ إِلَى خَالِقِهَا ، اللهِ سُبْحَانَهُ .

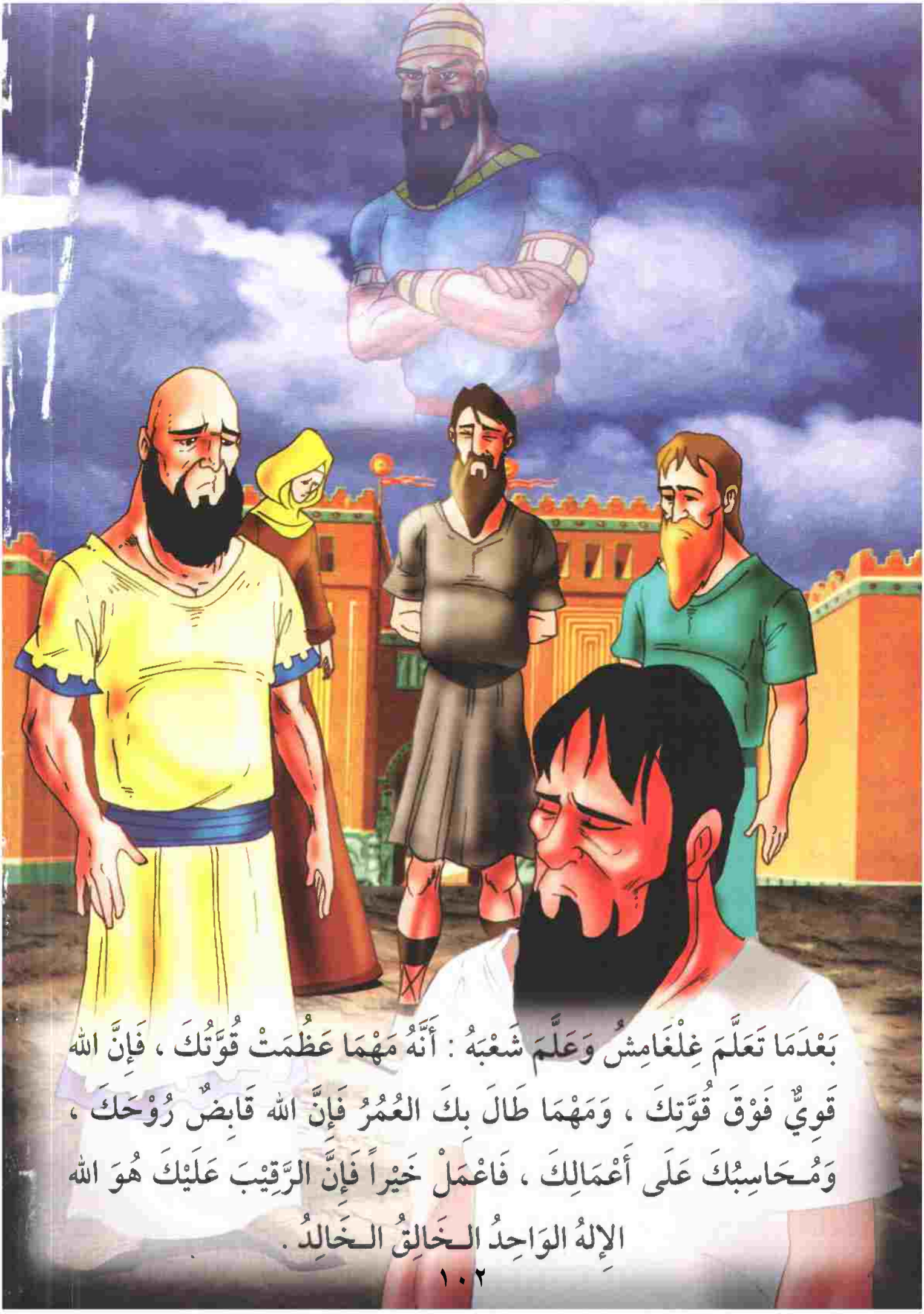

بَعْدَمَا تَعَلَّمَ غِلْغَامِشُ وَعَلَّمَ شَعْبَهُ : أَنَّهُ مَهْمَا عَظُمَتْ قُوَّتُكَ ، فَإِنَّ اللهَ قَوِيٌّ فَوْقَ قُوَّتِكَ ، وَمَهْمَا طَالَ بِكَ العُمُرُ فَإِنَّ اللهَ قَابِضٌ رُوْحَكَ ، وَمُحَاسِبُكَ عَلَى أَعْمَالِكَ ، فَاعْمَلْ خَيْراً فَإِنَّ الرَّقِيْبَ عَلَيْكَ هُوَ اللهُ الإِلهُ الوَاحِدُ الخَالِقُ الخَالِدُ .